علاقة ولاة مصر بسلاطين دارفور
في الفترة ما بين (١٨٢١_١٨٧٨م)

د. راجية إسماعيل أبوزيد
(دكتوراه جامعة عين شمس)

١٤٣٩هـ/٢٠١٧م

تمهيد:

إن العلاقات بين شطري وادي النيل بصفة عامة قديمة منذ فجر التاريخ، وقد وجدت العلاقة بين دارفور ومصر منذ القدم، وذلك لعدم وجود حواجز طبيعية، ونتيجة للتباين في كثير من المنتجات بين مصر ودارفور، فلقد نشطت حركة التبادل التجاري بين البلدين، و أيضا بين مصر وبعض دول أوربا.

فلقد لعبت مصر دور الوسيط التجاري لتصريف كثير من منتجات هذه البلاد، وذلك بحكم موقعها في جنوب البحر الأبيض المتوسط كما لعبت دارفور دور الوسيط التجاري بين مصر ودول غرب إفريقيا لتصريف المنتجات المصرية والأوربية.

ومن أشهر الطرق التجارية التي ربطت مصر بدارفور طريق درب الأربعين، وهو طريق قديم ولا يزال يستخدم في التجارة بين مصر ودارفور، وقد سمي بذلك لأن الرحلة فيه تستغرق أربعين يوما، وقد صاحب تلك العلاقات التجارية بين البلدين علاقات الود والاحترام المتبادل بين الحكام، مما زاد العلاقة بين البلدين بالقوة والمتانة، ويتركز هذا البحث على ثلاثة نقاط:

أولًا_ تاريخ دارفور ونظام الحكم فيها

ثانيًا_**علاقة السلطان محمد فضل والسلطان محمد حسين بولاة مصر (محمد علي وعباس الأول ومحمد سعيد).**

ثالثًا: فتح دارفور في عهد إسماعيل باشا ومشروعات التنمية التي حاول إسماعيل باشا القيام بها في دارفوروعلاقة سلاطين دارفور بالحكم المصري ثم خاتمة نوضح فيها أبرز النتائج، ويتبع ذلك كله قائمة بالمصادر والمراجع.

أولا_ تاريخ دارفور ونظام الحكم فيها:

شهد القرن السابع عشر الميلادي قيام سلطنة إسلامية في إقليم دارفور، ولم تلبث هذه السلطنة أن احتلت مكًانا بارزا في مجموعة الممالك السودانية الإسلامية*.

يقع إقليم دارفور في غرب السودان، وتبلغ مساحته ٢٥ ألف كم٢، يحده من الشمال الصحراء الليبية والتي تمتد إلى البحر المتوسط، وهي تشمل حاجزا مانعا لإمتداد الفور شمالا ماعدا بعض الواحات الجنوبية التي استطاع الفور الوصول إليها وبسط نفوذهم عليها في بعض الأحيان، ومن الشرق سلسلة عريضة من التلال الرملية تعرف بالأقواز، وهي تفصل بينها وبين كردفان أما جهة الغرب فيحدها واداي وتشاد، ولا يوجد بينهما حواجز جغرافية، فكانت تخضع تلك الحدود لعوامل سياسية أو قبلية، ومن الجنوب يوجد بحر الغزال والمنطقة التي ينتشر فيها ذباب تسي تسي، وهذه المنطقة تمنع الفور من الإنتشار في هذا الإتجاه.(١)

ينقسم إقليم دارفور من حيث التضاريس إلى ثلاث مناطق؛ ففي الشمال منطقة براري يتخللها تلال وأودية، وأهلها من البدو، وفي الوسط منطقة جبلية تسقط عليها الأمطار "الإقليم المداري المطير" ويقوم أهلها بالزراعة ورعي الأبقار أما في الجنوب حيث تكثر الأمطار، فتوجد منطقة رعوية يعمل أهلها بتربية الماشية، ومن أبرز الظواهر الطبيعية في دارفور سلسلة جبال أشهرها جبل مُرة* وهي تخترق الإقليم من الشمال إلى الجنوب، وتصل إلى أعلى قممها من الجنوب إلى عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر(٢) ويتصف إقليم دارفور بتعدد السلالات وذلك لتنازع السلالات البشرية المتنوعة عليه من ناحية وأيضا الهجرة إليه

---

* **تشمل هذه الممالك سنار، وكردفان، واداي، الهوسا، مالي، الكاتم، أوبرنو، بجرمي، وكانت تمتد من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا، ومن الصحراء الكبرى ومصر في الشمال والغابات الإستوائية في الجنوب، انظر محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، سلسلة دراسات افريقية، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٦٥م، ص٣٠**

(١) **Lampen. G.D: History of Darfur. S.N.R. xxx1. 1948.part II.P. 177_ 178 _**

_ السعيد البدوي: دارفور و الإطار الجغرافي من أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور (الأصول والمواقف) معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ٢٠٠٥، ص٤

* **_جبل مرة: تكون نتيجة الثوران البركاني، ويسوده مناخ البحر المتوسط، وتوجد في قمته بحيرتان تمتلأن بالمياه في فصل الأمطار وتسيل منها المياه نحو الأودية ويعتبر جبل مرة من أخصب مناطق السودان، انظر مصطفى محمد خوجلي: دارفور البيئية والإنسان من أعمال الحلقة النقاشية، المرجع السابق، ص٢٣**

(٢) **Lampen.G.D : Op.Cit. p.178_**

من ناحية أخر من ناحية الشمال أو الشرق أو الغرب، فجاءت جماعات نوبية من ناحية النيل وجماعات ليبية من شمال إفريقيا، واستطاعت هذه القبائل أن تقيم ممالك في هذه المنطقة أما االهجرات العربية فكانت تنقسم إلى مجموعات ينتمي بعضها إلى العدنانيين، وبعضهم الآخر إلى القحطانين، مثل الجعليون الشعية العدنانية كما مثلت القبائل الجهنية الشعية القحطانية، وقد تركز الجهنيون في عدة مناطق بالسودان على عكس الجعليون الذين تمركزوا في الإقليم النهري من السودان [٣]

وقد عرف الجهنيون الذين تركزوا في دارفور باسم البقّارة على الرغم من وجود بعض القبائل الأخري التي ترعي الأبقار، ولكن هذا الاسم خاص بالقبائل الجهنية، ومن أشهر قبائل البقارة في دارفور الرزيقات والهبانية والتعاشية و بني هلبة و بني خزام[٤].

ويمتاز البقارة بصفات حربية بالإضافة إلى أنهم صيادون مهرة، وكثيرا ما حدث صِدام بينهم وبين سلطة دارفور، الأمر الذي أضعف شوكتهم فيما عدا قبيلة الرزيقات[٥] وينزح البقارة بماشيتهم نحو الجنوب أثناء فصل الجفاف في أواخر الشتاء حيث يصطادون الفيلة ويهاجمون الزنج، ويخطفون مواشيهم، وفي فصل المطر يتجهون نحو الشمال هربا بقُطْعانهم من الذباب والمستنقعات إلى المرتفعات الشمالية[٦].

وعلى الرغم من تعدد السلالات في دارفور إلا أنها اشتملت على الثقافة العربية والديانة الإسلامية، وإن كانت تختلف من سلالة إلى أخرى حسب نشأة كل منها، ومدى قدِمها، أو قرب عهد هجرتها، واختلاطها بالعرب، ويتضح هذا التنوع إذ علمنا أنه يشتمل على نحو ثماني عشرة سلالة غير عربية تتحدث إثنتا عشرة لغة مختلفة بالإضافة إلى اللغة العربية التي تعرفها الغالبية [٧].

---

[٣] ـ محمد عوض : السودان سكانه وقبائله، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر١٩٥١، ط١، ص٢٠٩، ص٢٥٠

[٤] _ محمد عوض: الشعوب والسلالات الإفريقية، ص٢٢٩

_ مصطفى مسعد: سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ١١ عام ١٩٦٣م، ص٢١٨

[٥] _ محمد عوض: الشعوب والسلالات، ص٢٣٠

[٦] _ نفسه.

[٧] _ Arkill.A.J: The History of Darfur.S.N.R.XXX11.Part1.p.s1

ومن القبائل التي لها دور بارز في تشكيل التاريخ السياسي والاجتماعي في الإقليم قبائل الداجو، والتنجور، والفور، وتعتبر الداجو من اول القبائل التي تمكنت من تأسيس دولة منظمة في تاريخ دارفور حيث سيطروا على الحكم في المدة من القرن ١٢_١٥ م، ويقال إنهم جاءوا من الشمال من تونس وكانوا يدعون بـ" شعب فرعون"، وقد استقروا في جبل مرة، ويعتبروا أحد الشعوب الخمسة القديمة لسكان دارفور، ولم يتمكنوا من بسط نفوذهم على كل الإقليم و أكتفوا بأخذ الضرائب [٨] ثم أعقبهم التنجور، وتقول بعض الآراء أنهم يرجعون في أصولهم إلى العرب، وبعضهم الآخر يُرجع أصولهم إلى البربر وبأنهم تركوا ديارهم في شمال إفريقيا فرارا من بني هلال، واتجهوا جنوبا، كما يقال إن لهم صلة ببلاد النوبة وأن اسم تنجور في اللغة النوبية معناه (القوس) وهو الاسم الذي عرفت به بلاد النوبة في العصور القديمة " تاستي" ويوجد مكان جنوب وادي حلفا يحمل اسم تنجور، وكيفما كان الطريق الذي سلكه التنجور إلى دارفور أو انتمائهم فلم تكن لهم لغة غير اللغة العربية [٩]ومعظم الآثار التي عثر عليها في شمال دارفور تنتسب إلى التنجور، وتدل آثار المساجد والقصور المبنية بالطوب الأحمر على أن الإسلام امتد إلى دارفور في عهد التنجور[١٠] غير أن سلطان التنجور لم يستمر طويلا في دارفور، فأصابها الوهن وضعف سلطانهم بعد مضي قرنين من قدومهم إليها، فتمكنت أسرة كيرا من الفور من احتلال دارفور عام ١٦٤٠م[١١] و أسرة كيرا هم خليط من " الكنجارة" نشأت في ترة على مقربة من جبل مرة بأواسط دارفور، صاهروا التنجور ونشأ عن تلك المصاهرة ظهور أسرة كيرا [١٢]، وتمتاز هذه الأسرة على غيرهم من الفور بوجود الدماء العربية في عروقهم، وكان السلطان دالي أول سلاطن هذه الأسرة ثم

---

(٨) _ محمد عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥، ص١٢٧، ص١٣٦

(٩) _ نفسه: ص١٣٧

(١٠) _ Trimingham.J.S: Islam in The Sudan,(Oxford University1949.P81

(١١) _ سيد حريز: دارفور الصراع السياسي من أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور، المرجع السابق ص١٨٤

(١٢) _ Mac Michael.H.A: opit.p93

خلفه ابنه كورو ثم سليمان سولونج [١٣]وظلت هذه الأسرة تحكم في دارفور حتى نهاية حكم علي دينار ١٩١٦م، ويعتبر سليمان سولونج (١٦١٠_ ١٦٧٠) هو مؤسس سلطنة دارفور، فاستطاع بعد عدة معارك بلغ عددها ثلاثا وثلاثين أن يحقق للبلاد وحدتها، فخضعت لسلطته جماعات الزغاوة، والبرتي والمساليط، وقضى على محاولة قام بها التنجور لإسترداد ملكهم، كما عمل على نشر الدين الإسلامي[١٤].

وقد اتخذ سليمان بلدة نامي في إقليم ترة عاصمة لدولته، ووضع نظم إدارية داخلية، فقام الحكم على أساس ملكي وراثي يتم اختيار السلطان من خلال مجلس خاص يعقد يوم وفاة السلطان، وبعد مرور سبعة أيام يقام حفل تنصيب الحاكم الجديد في اليوم الثامن يحضره الخاصة والعامة من أهالي دارفور [١٥] وللسلطان مجلس أو ديوان يعرف باسم فاشر، ويعقد عادة في الميدان الواسع أمام قصر السلطان، وأطلق على هذا الميدان الفاشر ثم أطلق ذلك الاسم على العاصمة التي يستقر فيها السلطان، وقد دأب السلاطين على التنقل من منطقة إلى أخرى، ويساعد السلطان في تصريف أمور الدولة مجلس الأمناء أي الوزراء وعددهم أربعة رئيسهم الأب شيخ وهو الوزير الأول (رئيس الوزراء) .

وكان لكل من الأمناء الأربعة عمل خاص، وهم؛ أمين شؤون العسكر (كوركوا) و أمين الخزائن و أموال الدولة، وأمين شئون الخيل والدواب السلطانية، و أمين الأسلحة،وكان منصب الأب شيخ هو القائد العام للجيش السلطاني، والمرجع الأعلى لتفسير القانون المعروف باسم قانون " دالي" *

---

[١٣] _ لقب سولونج: الذ ي عرف به سليمان معناه في لغة الفور " العربي" أو من يتكلم العربية أو من يدين بالاسلام، انظر التونسي: المرجع السابق، ص ١٣٢، وانظر نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، مطبعة المعارف، القاهرة، د.ت، ص١,٢

[١٤] _ Lampen.G.D optic.pp184_185

[١٥] _ التونسي: المرجع السابق، ص١٦٤

*** يطبق في دارفور أحكام الشريعة الإسلامية أما المناطق التي لم يتخلى سكانها عن عاداتهم وتقاليدهم القديمة، فكانت تطبق عليهم أحكام القانون المعروف بقانون " دالي" ومعناها في لغة الفور " لسان السلطان و أوامره" ويظن كثيرون أن قانون دالي يعود إلى سلطان دارفور دالي، فقد جمع الأحكام العرفية في كتاب غُرف باسمه،ويقوم على تنفيذ الأحكام و تطبيقها الولاة والشراتي و أصحاب الحواكير، وهي تشكل قسما رئيسيا مع القضاء الشرعي الذي يستند إلى الكتاب والسنة. انظر حمدنا الله مصطفى حسن: التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان من ١٨٤١_ ١٨٨١م) ط١،القاهرة، دار المعارف ١٩٨٥، ص١٧، ١٨**

أما عن حكم الأقاليم فقد قسمت دارفور من الناحية الإدارية إلى أربعة ولايات يعين عليها والي من قبل السلطان كان بمثابة ملك وهم " أباديما" على ولاية جنوب غرب دارفور، والتكتياوي على الولاية الشمالية " وابا ومنج " على ولاية جنوب شرق دارفور، والأب شيخ على الولاية الشمالية بالإضافة إلى عمله، وكانت هذه المناصب وراثية.

ومع بداية القرن التاسع عشر تعدل هذا النظام وتحولت تلك الولايات إلى مقدوميات (مفرد مقدومية) على كل منها مقدوم، يتولى منصبه بطريقة التعيين، كما ألغي منصب الأب شيخ* وكانت سلطة المقدوم في إقليمه مطلقة، فهو يتمتع بكل ما يتمتع به السلطان في بلاطه، وتنقسم كل مقدومية إلى اثنتا عشرة شيرتاية، على رأس كل منها حاكم عُرف باسم " الشرتاي" ثم تنقسم الشترييات إلى عدد من الدملجيات على رأس كل منها حاكم يعرف باسم " الدملج" وهو شيخ القبيلة، ويتبعه عدد من مشايخ القرى، يطلق الفور عليهم اسم " سجالا" مفرده " سيجال" وقد جرت عادة حكام الأقاليم في دارفور أن يرسلوا أولياء عهودهم إلى قصر السلطان ليظلوا رهائن عنده، وبذلك يضمن السلطان ولاء آباهم له من ناحية، ويضمن ولاءهم عندما يتقلدون حكم بلادهم.

ولم يكن في دارفور جيش نظامي بل كان السلطان وقت الحرب يعتمد ما يجمع من الولايات، وكانت الأسلحة المستخدمة من السيوف، و الحراب، والنشابات، ولم تعرف الأسلحة النارية إلا في عهد السلطان حسين بن محمد فضل، حيث نظم جيشا عدده عشرة آلاف مع تسليحهم بالبنادق المعروفة بـ " أبي روحين" (١٦)

أما عن نظام الملكية في دارفور، فقد وضع السلطان موسى ابن السلطان سلمان سولونج اول سلطان من سلاطين الفور سياسة شاملة إزاء الأرض حيث اعتبر كل أراضي السلطنة ملكا خاصا له، ثم مضى من جاء بعده من السلاطين على هذه السياسة يتصرفون في الأرض كيفما شاءوا بالأخذ والعطاء (١٧)وقد قسم سلاطين دارفور الأرض الزراعية إلى

* **بعد النزاع الذي نشب بين الأب شيخ محمد كرا والسلطان محمد فضل.**

(١٦) _ **نعوم شقير: تاريخ السودان، ج٢، ص١٣٣،١٣٢**

(١٧) _ **Arkell: Op.cit.pp248_ 250**

حواكير أو إقطاعات توزع على البيت المالك والخاصة وكبار القوم من الفقهاء ورجال الدولة بمقتضى حجج مختومة بأختامهم [١٨]

كما قام بتقسيم قبائل البادية على الأمراء من أبناء السلاطين أو بعين من الأعيان تحبس له زكاتها، وكان المقاديم يجمعون الزكاة من البادية وملوك الجباة يجمعون " العشور " من الحضر [١٩]وتتفاوت الضرائب التي تفرض على القبائل سنويا من قبيلة لأخرى، وهناك إيرادات ينفق منها السلطان على قصره وحاشيته، وجيشه، منها عشر الحبوب التي يجبيها ملك الجبايين، ومساعدوه من الحضر أما البدو فتجبي منهم زكاة الماشية، وللسلطان عشر قيمة المتاجر الصادرة والواردة، وله أيضا نصيب من الأسلحة التي تنتجها جماعة الحدادين، هذا بجانب ما يدخل خزينة السلطان من هدايا أصحاب الحواكير، والتجار والحكام، فقد جرى العرف في دارفور ألا يدخل أحد من هؤلاء على السلطان إلا ومعه هدية تعرف بالسلام، وتشتمل هذه الهدية غالبا على رقيق وإبل وخيل، وبقر، وغنم، وعسل، وسمن، وسن ريش [٢٠].

وقد اهتم سكان دارفور بالزراعة، فاهتم سلاطين دارفور بجلب بعض المحاصيل الزراعية من مصر، ومن أهمها: القمح، والقطن والسمسم والخضروات، وهناك زراعات مروية تزرع من الآبار المائية والتي تتميز بعذوبتها ووفرتها وتتراوح أعماقها بين أربع أمتار و خمسة وعشرين متر مثل القمح الذي يزرع في " كوبي" على مياه الآبار، وزراعات تعتمد على الأمطار مثل الزراعة في جبل مُرة، كذلك يزرع البطيخ في دارفور، وكانت له فائدة بجانب أنه فاكهة، حيث يستخدم كبديل للمياه طوال موسمه، ولا يمكن للأهالي أن يقتربوا من مخازن المياه إلا بعد نفاذ البطيخ[٢١]، كما قام السكان بزراعة التبغ والتمر الهندي، وكانت تقوم عليهما بعض الصناعات، فيصنع " العرديب" من التمر الهندي، وذلك بوضع الثمار تحت تأثير حرارة

---

[١٨] _ محمد إبراهيم أبو سليم: الفور والأرض، معهد الدراسات الإفريقية و الآسيوية، الخرطوم١٩٧٥م، ص٥٦، ٥٩

[١٩] _ نعوم شقير : تاريخ السودان، ص١٣٦

[٢٠] _ التونسي: المرجع السابق، ص١٧٧

[٢١] _ السيد يوسف نصر: جهود مصر الكشفية في إفريقيا في القرن التاسع عشر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩، ص١٨٥

الشمس حتى تختمر، ويصنع منها أقراص كبيرة، أما التبغ فبعد دق أوراقه الخضراء يصبح كالعجين ليصنع منه أقماعا ويجفف في الشمس، وقد استخدمت الأشجار في دارفور لتخزين المياه بكميات ضخمة زمن الأمطار، و تظل القوافل والأهالي يشربون منها لمدة ثلاثة شهور.

هناك أيضا صناعات يدوية يقوم بها السكان في دارفور مثل صناعة الجلود، والقِرب، والسياط، وصناعة الدمور واستخراج الملح.

أما في مجال التجارة فقد ارتكز النشاط الاقتصادي بشكل اساسي على التجارة، واشتهرت مدن بالتجارة مثل : الفاشر وكوبا وشندي، وكبكابية وكورمة و سويني، وكانت كلها مراكز للتجارة، واهم سلعة كانت تتداول آنذاك، وتكاد تكون السلعة الرئيسية لجميع تلك المراكز هي الرقيق الذي كان يمثل ٣٩% من حجم التجارة [٢٢]وكان سلاطين دارفور يجهزون الحملات لصيد الرقيق من بين قبائل الفور في الأجزاء الشمالية الغربية من بحر الغزال، والجنوبية من دارفور، وقد وجدت أسواق خاصة بهذا النوع من التجارة من بينها(الفاشر وشندي) وكان يصدر منهما الرقيق إلى مصر [٢٣]

أما من ناحية التجارة الداخلية في دارفور، فكانت تتم عن طريق المقايضة، ولم يكن هناك تعامل نقدي والعملة التي عرفها أهل دارفور هي الريال الفرنسي، وتسمى عندهم " أبا مدفع" وكان استعماله نادرا لأن كل منطقة لها تعاملها الخاص، وحسب إنتاجها المحلي، وكان استخدام الدمور، وهي صناعة يدوية، هناك والرقيق شائعا حتى كاد أن يكون عملة موحدة [٢٤]

---

[٢٢] _ بوركهات، جون لويس: رحلات بوركهات في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ١٩٥٩م، ص٢١٣، ٢٥٢

[٢٣] _ نسيم مقار: جهود مصر في الكشف الجغرافي البيكباشي، سليم قبطان والكشف عن منابع النيل، ط١، القاهرة ١٩٦٠، ص٤٥٠

_ محمد فؤاد شكري: مصر والسودان، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠_١٨٩٩م، القاهرة، دار المعارف١٩٧٥م، ص٢٧٩

[٢٤] _ السعيد بدوي: مرجع سابق، ص٢٩٨،٢٩٣

وبالنسبة للتعليم في دارفور فلم يكن هناك تعليم سوى التعليم الديني في المساجد والخلاوي، وكان الشيخ أو الفقيه موضع احترام السلاطين والعامة[٢٥]

وكان طلاب العلم يهاجرون إلى خارج دارفور إلى مصر وتونس حيث تأسس رواق الفور بالأزهر أيضا جاء العلماء إلى دارفور وكانوا يجدون كل ترحيب[٢٦] وكان سلطان دارفور هو أكبر و أهم تاجر بها، وكان للسلطان قائم لإدارة أعماله التجارية في أسيوط ، ويكون أحد أعيان البلدة، وذلك لأن سلاطين دارفور أعتادوا أن يرسلوا سنويا محملا وصرة إلى مكة المكرمة عن طريق مصر مع كمية من ريش النعام والصمغ وسن الفيل، و أعداد من الرقيق[٢٧] .

أيضا كان خاتم سلطان دارفور يصنع في مصر، فعندما تولى السلطان محمد الفضل ارسل مندوب خاص إلى مصر لتجديد الخاتم[٢٨] وكان سلطان دارفور يختار قائد القافلة المتجهة إلى مصر، فبجانب مهامه التجارية كان يقوم بدور السفير، فقد يكلفه السلطان بأداء مهام معينة كحمل الهدايا أو الرسائل[٢٩]

و إذا حدث أي تعكير في جو العلاقات بين البلدين فإن السبب يعود دائما إلى ما يصيب العلاقات التجارية من عراقيل لأنها أساس المصالح، فالقيود التي تفرض على التجارة كانت تمثل العقبة الكبرى، وهذه القيود هي التي تسببها الضرائب التي تفرض على التجارة خاصة من الجانب المصري.

هذا إلى جانب العلاقات الثقافية التي كانت قائمة لوجود الأزهر الشريف بمصر، وحاجة دارفور إلى العلماء الذين يفدون إليها، وكانت القوافل التجارية هي الوسيلة الوحيدة لنقل هؤلاء كما كانت الوسيلة لنقل الأخبار[٣٠] ومما يدل على قوة العلاقات التجارية، ومما تسببه من

---

(٢٥) _ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، القاهرة ١٩٦٣م، ج١، ص٣٧٢

(٢٦) _ التونسي: المرجع السابق، ص١١٦

(٢٧) _ زاهر رياض: السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الإستقلال ١٨٢١_١٩٥٣م، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م، ص١١٨

(٢٨) _ التونسي: مرجع سابق، ص٥١

(٢٩) _ نسيم مقار: ، ص٤٥٩

(٣٠) _ التونسي: مرجع سابق، ص٣٥٢

راحة و إطمئنان ما كان يصيب أهل مصر من فرح و سرور خصوصا أهل الصعيد عندما تأتي قافلة دارفور، وأثر ذلك في انتعاش حركة الأسواق المصرية [٣١]

ومن جانب آخر فإن إقامة تجار دارفور لفترة من الزمن قد تطول إلى شهور حتى ينهوا أعمالهم التجارية تعود بدخل طيب لمن يقومون بخدمتهم هذا إلى جانب ما ينتفعون به من لحوم الإبل التي كانت تستغنى عنها القافلة فيشترونها بأسعار رخيصة، ومن أشهر الطرق التي سلكتها قوافل التجارة من مصر ودارفور طريق درب الأربعين، وسمي بهذا الاسم لأن الرحلة تستغرق حوالي الأربعين يوما، يخرج هذا الطريق من موقع أسيوط الحالية، وتمر القافلة من أسيوط إلى الخارجة وابريس ثم شب وهو المكان الذي يستخرج منه الشب ثم واحة سليمة وهي نقطة قريبة من بلدة عكاشة التي هي على الشلال الثاني ثم تتجه القافلة إلى بلدة لقية ثم زغاوة، وهو المكان الذي يؤخذ منه الملح، والنطرون إلى دارفور، ويبعد هذا المكان مسيرة عشرة أيام من دارفور، وهنا ترتاح القافلة استعدادا لقطع طريق طويل يوصلهم إلى المزروب، وهو بئر في اول دارفور، ومن هناك إلى بئر السوينة وهنا يجب على كل التجار والأجانب القادمين البقاء فترة من الزمن حتى يحاط السلطان علما بمقدمهم، وحتي يسددوا ما يفرض عليهم من ضرائب[٣٢]، ومن هذا المكان تتجه القافلة إلى كوبي، وهي من أهم المراكز التجارية في دارفور[٣٣]، كذلك يتجه البعض إلى كبكابية القريبة من الفاشر وهي من المدن التجارية الهامة، وتعتبر المنفذ الرئيسي للطرق المؤدية إلى الأقاليم الغربية في ذلك الوقت[٣٤] ويتضح حجم تجارة دارفور مع مصر من كمية السلع التي كانت تأتي إلى مصر بطريق الأربعين سواء من دارفور أو عن طريقها من الجهات التي تقع إلى الغرب منها، مثل ودادي وبرونو وباقومي، فقد كان متوسط عدد الإبل في قافلة دارفور يبلغ أحيانا خمسة عشر ألفا [٣٥]هذا بجانب أصناف السلع المختلفة من سن الفيل، والصمغ والتمر الهندي وريش النعام، وقرون الخرتيت، والنطرون والشب، والنحاس والعسل، وغير ذلك..

---

(٣١) _ نسيم مقار: مرجع سابق، ص١٢٣

(٣٢) _ التونسي: مرجع سابق، ص٢٣، ٢٥

(٣٣) _ نفسه: ص٥٥

(٣٤) _ نسيم مقار: مرجع سابق، ص٤٤٨

(٣٥) _ نفسه.

أما الوارد من قافلة مصر إلى دارفور فيتكون من الاقمشة الحريرية والقطنية، والثياب، وبعض السلع الأوربية، وعدد قليل من البنادق والسيوف الألمانية، وكان يتم تركيبها في دارفور، وأيضا البارود في شكل خراطيش إلى جانب الحلى الذهبية والفضية والبخور والكتان[٣٦].

ثانيا: علاقة ولاة مصر بسلاطين دارفور (محمد علي باشا_ عباس الأول_ محمد سعيد باشا)

١_ محمد علي وعلاقته بالسلطان محمد فضل:

كان أهم أهداف محمد علي السياسية بسط نفوذه على مجرى النيل بأكمله، وأيضا لتأمين حدود مصر الجنوبية[٣٧] ولأن بسط السيادة على مجرى النيل كان يقتضي الإستيلاء على دارفور وغيرها من الأقاليم[٣٨] التي اشتهرت بوفرة خيراتها[٣٩].

وقد سمع محمد علي عن وجود الذهب في السودان؛ فأراد الاستفادة منه، وركز كثيرا من اهتمامه للبحث عنه هذا بجنب استغلال المعادن الأخرى خاصة معدن النحاس الذي اشتهرت به دارفور، وخاصة في الجهة المعروفة باسم " حفرة النحاس" وكانت تابعة لسلطان دارفور[٤٠] كذلك كان من أهداف محمد علي الحصول على الرقيق لتجنيدهم في الجيش، وكانت دارفور لها شهرة واسعة بذلك، و رسائله إلى صهره الدفتردار محمد توضح مدى اهتمامه بذلك الأمر[٤١]

وعندما أتم محمد علي بسط نفوذه على السودان أمر الدفتردار محمد بالتوجه إلى كردفان ودارفور، فأرسل الدفتردار رسالة إلى والي كردفان المقدوم مسلم الأمين، والمعين من قِبل

---

(٣٦) _ نعوم شقير: مجع سابق، ج٢، ص١٤٦

(٣٧) _ ابراهيم فوزي: السودان بين يدي غوردن وكتشينر، ج١، القاهرة١٣١٩ه، ص٥٩

(٣٨) _ محمد فؤاد شكري: الحكم المصري في السودان ١٨٢٠_١٨٨٥م،القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٤٧ص١٩،٢٠

(٣٩) _ مكي شبيكه: السودان عبر القرون، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٤م، ص٢٧

(٤٠) _ محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٢٠

(٤١) _ دار الوثائق القومية: دفتر رقم ١٠ معية تركي، المكاتبة التركية رقم ٢١٩ تاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧هـ، من الجانب العالي إلى الدفتردار

السلطان محمد فضل سلطان دارفور يوضح مهمته التي جاء من أجلها، ويطلب منه التسليم دون الحرب[٤٢].

وقد اتصلت الرسائل بين الطرفين، ويتضح من رد المقدوم مسلم أن الدفتردار طلب منه تسليم البلاد دون حرب، فرفض مسلم طلبه هذا واستنكر ذلك المسلك "لأنهم مسلمون ولم يخالفوا كتاب الله ولا سنة رسوله" و أنهم مستقلون منذ البداية، ولم يكونوا في يوم ما تابعين لأحد حتى أن السلاطين العثمانيين لم يفعلوا ذلك ولم يخاطبوه بتلك اللهجة من قبل، كما خاطب المقدوم مسلم في رسالته أهل مصر بأنه لم يقع بين بلاده وبينهم أي حروب من قبل، ثم ختم رسالته بأنه لن يطيع ولن يتلقى الأوامر من أحد إلا سلطان دارفور فقط.[٤٣] ولم ولم يبال المقدوم بالتهديد الذي وجهه إليه الدفترردار بأن لديه من القوة الحربية من مدافع وبنادق وغيرها ما يمكنه من التفوق لأنه معتقد أن القوة والعزة بالله، وأنه سيحارب حتى يُستُشهد[٤٤].

وقد عقد المقدوم مسلم العزم على مقاومة الحملة معتمدا في ذلك على خيالة كردفان، ومشاة دارفور، وتبادل الطرفان الرسائل، واستمر الدفتردار يطالب بالتسليم على حين أصر المقدوم على المقاومة، وبذلك لم يكن هناك مفر من الحرب والقتال، والتقى الفريقان بالقرب من " بارة" الواقعة شمال الأبيض عاصمة كردفان، وكانت معركة بين قوتين غير متكافئتين من حيث نوع الأسلحة، وبما لحق لجيش الفور من تدمير، وبذا حلت بالمقدوم مسلم الهزيمة[٤٥] وعندما وصلت أنباء فتح كردفان إلى محمد علي سر كثيرًا، ومن هنا هنأ االدفتردار على هذا الفتح، وأصدر أوامره بتعيينه حاكما على كردفان في الثامن عشر من سبتمبر سنة ١٨٢١م[٤٦] وبذلك صار الدفتردار مسئولا أمامه.

---

(٤٢) _ عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، القاهرة ١٩٥٠م، ص١٣٧

(٤٣) ـ دار الوثائق القومية: محفظة ١٥ بحر بر تركي وثيقة رقم ٤٤ بدون تاريخ من الملك مسلم الأمين ملك كردفان إلى البك دفتردار.

(٤٤) _ نفسه.

(٤٥) _ محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٢٥

(٤٦) _ دار الوثائق القومية: دفتر رقم ١٠ معية تركي وثيقة رقم ٢٢ تاريخ ٣ صفر ١٢٣٦ه، من الجناب العالي إلى عسكر كردفان.

حاول السلطان محمد فضل استرداد كردفان، فلم يقدر له النجاح، وبذا تخوف من أن تمتد يد محمد علي إلى سلطنته، وراودته المخاوف والشكوك في نوايا محمد علي، ولاسيما بعد خروج أخيه الأمير أبي مدين عليه وهروبه إلى مصر[٤٧] لذلك أغلق حدود سلطنته، وصار يراقبها بحذر شديد خوفا من تسلل جواسيس محمد علي وتوقع الهجوم في أي وقت.

هكذا قامت العلاقات بين سلطان دارفور وبين والي مصر على أساس من الشك، والخوف من جانب السلطان في حين أن الآخر كان يريد أن تستمر العلاقات التجارية مع دارفور إلى أن يحين الوقت المناسب لفتحها.

قرر محمد علي تأجيل فتح دارفور، وربما كانت لديه مشاغل تحول دون إرسال الجنود إلى دارفور، وكانت تعليمات محمد علي إلى الدفتردار هي التريث في كردفان، وتنظيمه قبل التفكير في ضم ممتلكات أخرى[٤٨]، فقد اتضح لمحمد علي بعض الحقائق، منها أن هذه الأقاليم واسعة، ولذلك رأى إرجاء ذهاب الدفتردار ليتمكن من إدارة كردفان، وتنظيمها، وأيضا قلة الجنود الموجودين بالسودان مع إتساع دارفور، وكل ذلك يتطلب حشد عدد كبير من الجنود لا يمكن إعدادهم في وقت محدود مع المحافظة والتحكم في المناطق التي تم فتحها[٤٩].

كان من المشاغل أيضا التي أعاقت فتح دارفور " حرب المورة" والثورات التي قامت ضد الدولة العثمانية، واستنجاد الدولة بمحمد علي جعلته في حاجة إلى الجنود والمال كل ذلك جعله يؤجل تفكيره في مجال التوسع في دارفور[٥٠].

أما الضربة القاضية التي انهت التفكير في فتح دارفور، فقد جاءت نتيجة لحادث اغتيال إسماعيل باشا في شندي حيث احرق في ليلة ١٧ صفر ١٢٣٨هـ/ فبراير ١٨٢٣م[٥١]؛ فأصيب محمد علي بصدمة عنيفة من جراء ما حدث في السودان لدرجة أنه فكر في الانسحاب من كردفان، ووضعها تحت إدارة الحكام المحليين مع الإكتفاء بأرباح الضرائب،

---

(٤٧) _ شقير: المرجع السابق، ج٢، ص١٣٠

(٤٨)(٤٨) _ دار الوثائق القومية: دفتر معية تركية، وثيقة رقم ٢١٧ تاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧هـ من الجناب العالي إلى سرعسكر كردفان.

(٤٩) _ نفس الوثيقة السابقة..

(٥٠) _ مكي شبيكه: المرجع السابق، ص١١٧

(٥١) _ نفسه، ص١٢٢

ولكنه أعاد التفكير مرة أخرى في كيفية الإستيلاء على دارفور، ، وبطبيعة الحال فقد تأثرت تجارة دارفور بالظروف السياسية، و أدرك محمد علي خطورة الأمر، فقرر أن يبني علاقته بسلطان دارفور على أساس المنفعة، وبدأت جولة جديدة من العلاقات بين سلطان دارفور ومحمد علي، فبدأ محمد علي بكتابة رسائل اطمئنان لسلطان دارفور، وإرسال الهدايا تعبيرا عن المودة وحسن الجوار.وفي نفس الوقت يحث حكمدار السودان ومدير كردفان على ذلك(٥٢).

وتنفيذا لسياسة محمد علي، فقد أوفد مندوبا خاصا من قبله، وهو محمد بك يحمل رسالة منه لسلطان دارفور للدخول معه في اتفاقية تجارية يتم بمقتضاها استجلاب العبيد إلى مصر، واستخراج معدن النحاس(٥٣) ولكن السلطان محمد الفضل قام بأسر مندوب الباشا، وقد أدى حجز أحمد باشا إلى غضب محمد علي، فأرسل العديد من الرسائل أملا في فك أسره، وقد راود محمد علي التفكير في أسر أحد رجال سلطان دارفور وهو أحمد شوشة، والذي كان مقيما في أسيوط من خلال إلقاء القبض عليه بتهمة التجسس لصالح السلطان(٥٤).

وعلى الرغم من ذلك الحدث إلا أن التجارة بين البلدين لم تعرقل بل نشطت في عهد محمد علي، فكانت السلع كالرقيق والجمال، وسن الفيل، والصمغ، وريش النعام تأتي بانتظام إلى مصر، وطبقا لسياسة الاحتكار التي تتبعها الحكومة إلا أنها كانت تتساهل أحيانا في أن يبيع التجار بعض ما معهم من سلع ولفترة محدودة(٥٥)وقد استثنى محمد علي ريش النعام من الإحتكار لمدة عام واحد، وذلك لتجار دارفور(٥٦)، لأن ريش النعام كان يأتي من مناطق أخرى في السودان، إلى جانب ذلك أبدت حكومة محمد علي اهتماما للحصول على الخيل من دارفور نظرا لكثرتها لديهم(٥٧) .

---

(٥٢) _ دار الوثائق القومية: دفتر رقم ٣٧٨ معية تركي، ترجمة الإرادةالتركية رقم ٩٠٢ تاريخ ٢ صفر ١٢٦١هـ، ارادة إلى مدير كردفان.

(٥٣) _ نعوم شقير: المرجع السابق، ج٢، ص١٣٠

(٥٤) _ محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٤٦

(٥٥) _ شوقي الجمل: تاريخ السودان وادي النيل، ج٢، ص٢٣

(٥٦) _ نعود شقير: المرجع السابق، ج٢، ص١٣٠

(٥٧) _: المرجع السابق، ج٢، ص١٣٢

ونتيجة لاهتمام حكومة محمد بمراقبة هذا النشاط التجاري، كان مدير الوجه القبلي يرسل قوائم السلع الآتية من دارفور ونتيجة لذلك اهتم محمد علي بطريق الأربعين، فجعله أمنا من عبث اللصوص، وقطاع الطرق وضرب على يد الخارجين.

من ناحية أخرى واصل محمد علي رسائله إلى سلطان دارفور محمد الفضل عن طريق مدير كردفان ليقبل استثمار محمد علي لمنجم النحاس الموجود في دارفور، فيسمح له باستخراج النحاس وتصديره إلى مصر، مما يعود بالنفع الكبير على البلدين، وزيادة حجم التجارة بينهما[٥٨] ولكن سلطان دارفور التزم الصمت.

وفي الحقيقة أن السلطان محمد الفضل لم يصرف نظره عن استرداد كردفان، لأنها جزء من بلاده، وكانت صلته بأتباعه هناك مستمرة لذلك كان يراسل بعضهم هناك ليمدوه بآخر الأخبار.

ومن ناحية أخرى سعى محمد علي إلى محاصرة سلطان دارفور ومنع عنه ما يعينه على الدفاع، وجمع حوله أعداء السلطان ليستعين بهم ضده، وخاصة من يعرفون أسراره، وأغدق عليهم الأموال[٥٩]. وعاودته فكرة ضم دارفور مرة أخرى، فأرسل في عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م كتابا إلى السلطان محمد الفضل يدعوه فيه إلى التسليم، وتقديم فروض الولاء والطاعة[٦٠] ولكن السلطان رفض هذا الطلب، واستنكر أن يكون تابعا لمحمد علي، وذكر في رده " أنه يحكم بلاده بما قال الله ورسوله، ولم يخرج على الدين منذرا إياه بألا يغتر ويتباهى بانتصاره، لأنهم أقل شأنا منه، لأن هؤلاء هم رعايا سلاطين دارفور، ويستمر السلطان في تحذيره لمحمد علي أنه على استعداد تام لرد عدوانه عليه، وليعلم أيضا أن دارفور دائما محروسة ومحمية بالله وبسيوف قطع هندية، وخيول جرد أرهمية عليها كهول وشبان يسرعون إلى

---

(٥٨) _ دار الوثائق القومية: دفتر رقم ٣٩٢ معية تركي، وثيقة رقم ٦٣٣ تاريخ ١٤ صفر ١٢٦٢هـ إلى وكيل مديرية كردفان.

(٥٩) _ دار الوثائق القومية: دفتر رقم ٢٦، صادر معية تركي، الكتابة التركية رقم ٣٤٦ تاريخ ٢٠ صفر ١٢٦٢هـ من الجناب العالي إلى رستم بك حاكم كردفان.

(٦٠) _ نعوم شقير: المرجع السابق، ج٢، ص١٣٠

الجهاد بكرة وعشية" [٦١] وكان هذا الرد كافيا ليفقد محمد علي الأمل في أن يكون سلطان دارفور تابعا له.[٦٢]

وفي الحقيقة فإن محمد علي لم يكن في إمكانه فتح جبهة جديدة في دارفور ومشاكله مع السلطان العثماني لم تنتهي بعد، هذا بجانب خسائره الكبيرة في حرب اليونان من الجنود والأموال، كذلك عزمه على ضم سوريا إلى مصر، وقد بدأ تحركاته إلى سوريا في أكتوبر ١٨٣١م[٦٣] وبالتالي فقد كان هناك أولويات لدى محمد علي جعلته يصرف نظر عن ارسال حملة إلى دارفور.

وفي عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م حانت الفرصة مرة أخرى لمحمد علي للتدخل في شئون دارفور، وذلك عندما جاء إلى دارفور الأمير محمد أبو مدين أخو السلطان محمد الفضل هاربا من أخيه، وطالبا من الحكمدار خورشيد السماح له بمقابلة محمد علي، فانتهز خورشيد هذه الفرصة، وعرف منه قوة دارفور، واتفق معه أن تفتح الحكومة دارفور على أن يكون سلطانا بالتبعية للحكومة[٦٤]، وأن يؤدي في مقابل ذلك خراجا سنويا مقداره خمسة آلاف رأس من الرقيق، وخمسة آلاف رأس من الإبل، وألف وخمسمائة قنطار من العاج، وثلاثمائة قنطار من الخرتيت، وسبعمائة قنطار من النحاس الخام، وألف وخمسمائة قنطار من التمر الهندي، ويُرسل كل هذا بطريق الأربعين إلى أسيوط[٦٥]. وأرسل ذلك العهد إلى محمد علي، وعندما سافر أبو مدين إلى القاهرة، وقابل محمد علي وعده بحملة عسكرية للإنتقام له من أخيه السلطان محمد الفضل، وتنصيبه سلطانا مكانه، لذلك عاد أبو مدين إلى كردفان[٦٦] ولكن مشروع أبو مدين توقف عن التنفيذ وذلك لإهتمام محمد علي بمشكلة الإعتداءات الحبشية على الحدود الشرقية للسودان، ويتضح ذلك أنه عندما زار محمد علي السودان في أواخر

---

(٦١) _ محمود طلعت: غرائب الزمان في فتح السودان، القاهرة ١٣١٤هـ، ص٩٠، ٩١

(٦٢) _ نفسه: ص٤٣

(٦٣) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١، الطبعة الثانية، ص٢٤١، ٢٤٣

(٦٤) _ مكي شبيكة: السودان في قرن، ص٨٥، ٨٦

(٦٥) _ جلال يحيي: مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٦٧م، ص٦٧

(٦٦) _ التونسي: المرجع السابق، ص٣٤٥، ٣٥٣

عام ١٨٣٨م تقابل مع أبو مدين ولكنه لم يبداهتماما بفتح دارفور، وإنما كان اهتمامه البحث عن الذهب للخروج من الضائقة المالية التي يمر بها[٦٧].

وبعد معاهدة لندن ١٨٤٠م توالت الفرمانات لتحدد العلاقة بين السلطان العثماني ومحمد علي، وكان من أهمها الفرمان الذي صدر في ٢١ من ذي القعدة ١٢٦٥ هـ / ١٣ فبراير ١٨٤١م، وفيه منح السلطان العثماني حق إدارة مديريات دارفور، وكردفان، وسونار، لمحمد علي مدى الحياة، وبذلك أعطى الفرمان محمد علي الحق في التدخل في شئون دارفور[٦٨].

ولذلك وجه محمد علي اهتمامه مرة أخرى نحو دارفور، فأخذ في الاستعداد لإرسال حملة إليها، وشجعه على ذلك تغير الحكم في دارفور، فقد توفي السلطان محمد الفضل، واعتلى عرش السلطنة ابنه محمد الحُسين (١٨٣٩_١٨٧٤م) وكان عمره دون العشرين مما جعل الأمير أبو مدين متفائلا بأن السلطان الجديد ضعيف، ولا يُنتظر خير على يديه[٦٩]

وصل أبو مدين إلى كردفان ومعه بعض الجنود، وانتظر هناك مقدم باقي الجنود على دفعات، وعندما تأخروا أرسل يستعجل إرسالهم حتى لا يحدث تأخير، وأوضح أن هذا الوقت من العام (زمن الخريف والشتاء) هو أنسب وقت يمكن التوجه فيه إلى دارفور، وذلك لتوفر المياه وبرودة الجو[٧٠]، ويرجع سبب تأخير الجنود إلى تغيير رأي محمد علي، فقد بدأ يشك في نوايا حكمدار السودان أبو ودان، ورغبته في الاستقلال بالسودان، لذلك اهتم محمد علي بتنظيم الإدارة في السودان، و إلغاء الحكمدارية والاهتمام بمعدن الذهب، والكشف عن المناطق التي يمكن أن يوجد فيها مما يزيد من حصيلة خزينة الدولة[٧١] .

هذا بجانب خروج الرؤوس من الأحباش واعتداءهم على حدود السودان، فقد خرج الرأس كاسا وطالب القبائل السودانية القريبة من الحدود بدفع ضريبة له[٧٢] وذلك في عام ١٨٤٨م،

---

(٦٧) _ مكي شبيكة: السودان في قرن، ص٤٥، ٤٦

(٦٨) _ محمد رفعت رمضان وضع السودان في نطاق العلاقات بين ممصر والدولة العثمانية حتى سنة ١٨٦٣م، القاهرة، دار المعارف١٩٥٥م، ص٢٦

(٦٩) _ التونسي: المرجع السابق، ص٣٥٥

(٧٠) _ دار الوثائق القومية: محفظة رقم ١٩ بحر برا، وثيقة رقم ٥١ تاريخ ١٨ رجب ١٢٦٥هـ، من محمد أبو مدين إلى الجناب العالي.

(٧١) _ عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، ص١٥٢

(٧٢) _ محمد رفعت رمضان: المرجع السابق، ص٣٣

ولم يتنازل الرأس كاسا إلا تحت ضغط التهديد بتسيير الجيوش إليه[٧٣] وهكذا اشغل محمد علي، وانتهى عهده ولم يحقق ما كان يصبو إليه نحو دارفور والتي لم تكن علاقة سلطانها معه على ما يُرام.

٢_ السلطان محمد حسين وعلاقته بعباس الأول

تولى عباس الأول السلطة أواخر عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م، ولازالت العلاقات السياسية بين مصر ودارفور لم تتحسن لأن السلطان محمد الحسين سار على نهج أبيه، فلم يحسن الظن بمحمد علي، فأخذ منه وممن جاء بعده من ولاة مصر موقفا سلبيا، فكان السلطان محمد حسين شديد الحرص على المحافظة على استقلال دارفور لذلك انشأ جيشا قويا، و سلحه لأول مرة في تاريخ دارفور بالأسلحة النارية بدلا من السيوف والحراب والنشاب[٧٤]

وفي الحقيقة فإن عباس باشا لم يكن يفكر في التوسع، وفتح دارفور أو حتى إقامة علاقة طيبة مع سلطان دارفور اللهم إلا في مجال التجارة، وقد اهتم بالسودان وعمل على نشر العمران والثقافة، ومع ذلك لم يهتم بدارفور، ويرجع ذلك لمشاكله في مصر والتي صرفته عن التفكير في أمر دارفور، فقد طالب الباب العالي في مارس ١٨٥٠م تطبيق التنظيمات والقوانين العثمانية، ووضع مصر تحت إشرافه[٧٥] ومعنى هذا ضياع كل الامتيازات التي كانت لمصر في عهد محمد علي، بالإضافة لما ترتب على ذلك من أضرار بمصر والسودان[٧٦]

وقد عارض عباس تطبيق التنظيمات، واستطاع أن يخرج في النهاية محتفظا بالامتيازات التي منحها فرمان ١٨٤١م ثم انشغل بعد ذلك في كيفية تحسين علاقته بالسلطان العثماني، وبالفعل بدأت العلاقات تتحسن خصوصا بعدما لبى عباس رغبة السلطان في تقديم المساعدة الحربية التي طلبها سنة ١٨٥٣م في حرب القرم ضد روسيا[٧٧]

---

(٧٣) _ مكي شبيكة: السودان في قرن، ص٥٢

(٧٤) _ نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث، ص١٣٢

(٧٥) _ محمد فؤاد شكري: مصر والسودان، المرجع السابق، ص٣١

(٧٦) محمد رفعت رمضان: وضع السودان في نطاق العلاقات بين مصر والدولة العثمانية، المرجع السابق، ص٣٦

(٧٧) _محمد فؤاد شكري: مصر والسودان، ص٣٢، ٣٥

وهكذا كان انشغال عباس باشا بأموره لتدعيم مركزه في مصر له أثره على السودان عامة، فعلى الرغم من رغبته في انتظام أمور السودان و إسعاد أهله إلا أن لم يحدث في عهده ما يسترعي الاهتمام بل كانت الحالة الداخلية متدهورة يكفى أن نذكر أنه في خلال وقت قصير تعاقب على إدارة الحكمدارية عدد كبير لم تتجاوز مدة حكم بعضهم العام الواحد مما أدى إلى عدم الاستقرار في الإدارة[٧٨] هذا بجانب انتشار الأجانب في عهده في السودان، وتوغلهم إلى الأجزاء الجنوبية بحجة تجارة العاج مستغلين ما لهم من الامتيازات الأجنبية[٧٩] كما شجع ضعف الحكومة بعض القبائل للإغارة على الحدود الشرقية والجنوبية، فوصلت قبائل الدينكا إلى كردفان[٨٠]

هكذا كان الحال في السودان في عهد عباس، فهل من المنتظر أن يقوم بإرسال جيش لضم دارفور، لذلك ظلت العلاقات بين عباس باشا وسلطان دارفور كما كانت في عهد محمد علي إلا فيما يخص بعض الأمور التي تخص التجار، والتي يقوم بها المسؤلون في مخاطبة سلطان دارفور، إذا حدث وفاة لأحد الرعايا من التجار فمثلا نجد أن سلطان دارفور يرسل " حين يطلب منه" متعلقات من توفى في دارفور من الأموال وغيرها[٨١] وهذا يدل على أن التجارة لم تنقطع بين مصر ودارفور، وأن تجار دارفور كانوا يأتون إلى مصر لبيع منتجاتهم، وقد ازدهرت التجارة عندما امتنعت الحكومة عن التدخل في شراء السلع، فكانت السلع تُباع بالمزاد العلني[٨٢] .

وفي عام ١٨٥٢م ارسل عباس باشا رسالة إلى سلطان دارفور محمد الحسين، وذلك بسبب عبث العابثين من قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على التجار مما جعل الطريق غير آمن، واضطر التجار أن يسلكوا طرقا اخرى غربي أسيوط يقطعون خلالها مساقات طويلة، فأدى

---

(٧٨) _ زاهر رياض: السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال ١٨٢١_١٩٥٣، ص٧٤
(٧٩) _ محمد فؤاد شكري: مصر والسودان، ص٦٥
(٨٠) _ زاهر رياض: المرجع السابق، ص٧٥
(٨١) _ مكي شبيكة: السودان في قرن، المرجع السابق، ص٧٠
(٨٢) _ نعوم شقير: المرجع السابق، ص١٣٨

ذلك إلى ضعف التجارة بين الجهتين، و أنه إذا ما استمر الحال على ما هو عليه من انعدام الأمن والسلامة، فإن التجارة سوف تتوقف تماما وتسوء إلى أكثر من ذلك[٨٣]

كذلك طرح عباس باشا في رسالته مشروع معاهدة على سلطان دارفور، تتعهد فيه الحكومتان بتعويض التجار عما فقدوه من ممتلكاتهم، فتعمل الحكومة على إعادة ما يُسلب من التجار ومعاقبة المعتدين، على أن يكون العقاب كما يلي:

إذا حدث اعتداء على رعايا دارفور داخل مصر فإن معاقبة الجناة تتم بمعرفة حكومة دارفور، و إذا وقع الاعتداء على رعايا الحكومة المصرية داخل دارفور فإن معاقبة الجناة تتم بمعرفة حكومة مصر[٨٤] وطلب [٨٥]عباس باشا من السلطان أن يعلن هذا التعهد بعد التوقيع عليه من الطرفين على التجار لطمآنتهم، ويتضح لنا أن عباس باشا بدأ يتجه نحو علاقات من حسن الجوار مع دارفور، ولكن السلطان محمد الحسين التزم الصمت ولم يرد على رسالة عباس باشا، لأنه مازال يشك في صدق نوايا والي مصر، خصوصا و أن أغلب الاعتداءات تقع في دارفور، ويتضح من تلك الحادثة المشهورة التي وقعت في عهده، وهي الحادثة المعروفة بالقرطاس، فقد ساء السلطان محمد الحسين اعتداء عربان المعاليا على قافلة قادمة من مصر، فاستغل السلطان الفرصة مستعينا بالعداء القديم الذي كان بين عربان المعاليا وعربان حمر، وأوعز إلى شيخ قبيلة حمر بشن الحرب على المعاليا، فنشبت المعركة بين القبيلتين، وانتهت بهزيمة المعاليا، وسميت هذه المعركة بالقرطاس بسبب امتلاء الصحراء بقراطيس السكر والأنسجة التي كان عربان المعاليا نهبوها من قافلة مصر[٨٦] وقد سارت الأمور والتجارة دون أن يحدث ما يلفت النظر بين والي مصر وسلطان دارفور على الرغم مما كان يحدث للتجار من تعديات من بعض القبائل.

---

(٨٣) _ دار الوثائق القومية: رقم ٧٥ ج٢، معية سنية صادر تحريرات دواوين وثيقة رقم ٢٩٢ دفتر ص ٣٧٠_ ٣٧١ بتاريخ ٧ ربيع ثان ١٢٦٨ هـ أمر عالي إلى سلطان دارفور

(٨٤) _ نفس الوثيقة السابقة.

(٨٥) _ نفسه.

(٨٦) _ نعوم شقير: المرجع السابق، ص١٣٤

٣_ علاقة محمد سعيد باشا بالسلطان محمد حسين

كانت علاقة السلطان محمد حسين بمصر طيبة، ولو أنه كان دائم الشك في نوايا حكامها.

تولى سعيد باشا ولاية مصر عام ١٨٥٤م، وكانت سياسية سعيد باشا قائمة على احترام الجار والتعايش السلمي معه، وكان همه الأساسي هو المحافظة على السودان وتطويره خاصة بعد أن استفحل فيه النفوذ الأجنبي، فكان عليه أن يعمل على استعادة نفوذ مصر في السودان، وانقاذه من قبضة التجار الأجانب أيضا سعى إلى قيام علاقة حسن الجوار مع دارفور عن طريق إزالة ما يجيش في نفوس حكام دارفور نحو حكام مصر منذ الإستيلاء على كردفان ليسود السلام والصداقة بين الجانبين، من أجل ذلك بدأ سعيد مساعيه نحو هذا الاتجاه، من خلال تخفيض الرسوم على البضائع الواردة من دارفور إلى مصر(٨٧).

وعندما زار سعيد باشا السودان عام ١٨٥٧م وعند وصوله لمدينة بربر ارسل إلى سلطان دارفور رسالة يوضح له فيها، غرض هذه الزيارة وأنه جاء ليتفقد أحوال الرعية والعمل على ما فيه خير البلاد ومنفعة أهلها، و رفاهيتهم، و أنه بحكم تقارب البلدين ومصالحهما المشتركة في التجارة فقد تحتم عليه أن يزور السودان لمد وصال المودة والصداقة بين البلدين، وكانت هذه الرسالة بمثابة دعوة صريحة للسلطان محمد حسين من أجل فتح صفحة جديدة لعلاقات الإخاء والمودة بين الطرفين[٨٨]، وقد أراد سعيد باشا بذلك أن يطمئن إليه سلطان دارفور، وبالفعل اهتم السلطان محمد حسين برسالة سعيد باشا وارسل إليه رسالتين، ومع ذلك احتوت رسالته الأولى على حذر يدل على عدم تخلصه الكامل من مخاوفه من والي مصر، فقد طلب منه أن يقسم بالله أنه ليس لديه مطلب في جهات دارفور غير المودة والإخاء.

أما الرسالة الثانية فقد أبدى السلطان ترحيبه بالوالي، ووصفه بالعادل لتفقده رعاياه وأنه يسير على نهج الإسلام الذي جمع بينهما وأرسل سلطان دارفور مع هذه الرسالة هدايا إلى

---

[٨٧] _ أمين سامي: تقويم النيل: عصري عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأولن ج٣، القاهرة ١٩٣٦م، ص٢٠٦

[٨٨] _ دار الوثائق القومية: ديوان المعية السنية، عربي، صادر دفتر ٣١١٩ رقم ٣٣٤، ص١٠ تاريخ ٩ جمادى الأولى ١٢٧٣هـ، من محمد سعيد باشا إلى سلطان دارفور.

سعيد باشا[٨٩]، وربما يتم تفسير ذلك على اطمئنان السلطان لسعيد باشا، وربما لأنه أراد أن يتقي عداوة ولاة الأمور، وتحسين علاقته بهم، خاصة وأنه فقد بصره عام ١٨٥٦م وكانت أخته تشاركه في إدارة شؤون السلطة حسب تقاليدهم[٩٠].

وقد قام سعيد باشا بإرسال رسالة أخرى يوضح فيها أنه استقبل رسول السلطان بالحفاوة والتكريم، وقام لمدافع ابتهاجا بقدومه، وقد أكد سعيد باشا أن غاية ما يرجوه هو العمل من أجل المحافظة على أموال التجار والرعايا وصيانة حقوقهم بمنع التعدي عليها بحيث من حضر من ديارنا إلى دياركم تراعي حقوقه، ومن يحضر من رعاياكم إلى حكومتنا يعامل بذلك أيضا.

وطلب سعيد من السلطان أن يبعث إلى مصر من يعتمده لعقد المعاهدة كذلك يرسل وكيلا عنه ليقسم في مصر كما كان من قبل، وقد بعث سعيد مع رسالته هذه بهدايا قيمة للسلطان عبارة عن سيف مذهب مرصع بالجواهر و أربعة سيوف فضية، وخيمة وعربة، و أربعة طاقات مقصبة للملبوس وموشحة بترتر وكتاب روح البيان[٩١]، وذلك لعلم سعيد باشا بحب السلطان لكتب التفسير.

ومن الدلائل التي تشير إلى توطيد العلاقات بين البلدين أن طلاب الحاجات كانوا يهرعون إلى سعيد باشا أو سلطان دارفور لطلب واسطتهما، ومن ذلك عندما توسط سلطان دارفور لدى سعيد باشا لمصلحة أحد رعايا الباشا، ومن ذلك عندما توسط سلطان دارفور لدى سعيد باشا لمصلحة أحد رعايا الباشا طالبا منه بأن تحرروا له جانب من معاش من خزينة دنقلة[٩٢] يستعين به على نفقة العيال والغلمان لأجل خاطرنا وساقية، فالمرجو تجديد تلك الساقية وتحديد لأجل راحته، وقد اهتم سعيد باشا بهذه الوساطة وأصدر أمره لمدير دنقلة

---

[٨٩] **محفظة ١٩ بحر برا، وثيقة رقم ١٠٦ تاريخ ٩ رجب ١٢٧٣هـ من السلطان محمد الحسين إلى محمد سعيد باشا.**

[٩٠] **سلاطين باشا: السيف والنار في السودان، تعريب جريدة البلاغ، مطبعة البلاغ، القاهرة ١٩٣٠م، ص٤٦**

[٩١] **دفتر ١٨٨٩ ديوان خديوي، الوثيقة العربية رقم ١٣، ص٥٧ تاريخ ٢٨ ربيع أول ١٢٧٤هـ، أمر كريم إلى سلطان دارفور.**

[٩٢] **محفظة رقم ١٩ وثيقة رقم ١١٤ سودان، تاريخ غرة شعبان ١٢٧٨هـ من محمد الحسين لمحمد سعيد باشا.**

بترتيب المعاش المطلوب، كذلك كان سلطان دارفور يبدي اهتمامه بمصالح مصر ورعاياها وممتلكاتهم في دارفور.

٤ـ إسماعيل باشا وفتح دارفور ومشروعات التنمية بها

تولى إسماعيل باشا الحكم وسار على خطوات سعيد باشا في علاقته بسلطان دارفور محمد حسين لذلك استمر في تبادل الهدايا والرسائل معه، وتلقي رسل السلطان بالترحاب كذلك فعل السلطان وتمنى دوام المحبة والمودة بينهما، ولكن إسماعيل باشا كانت خطته في هذه المرحلة بناء السودان والمحافظة عليه ومتى اطمئن إلى ذلك، عمل على توسيع نطاقه، وقد كشف عن سياسته تلك في خطابه الذي وجه إلى حكمدار السودان الجديد " موسى حمدي باشا" بقوله " إن هذا القطر الجسيم الحق بمصر من قديم العهد وأصبح حقا مكتسبا لها، فالواجب تقضي بعدهم إضاعة شبر من حدوده، وبما أن تعمير وإصلاح الأقليم و إدخاله في المديريات المصرية، التي هي أكثر عمرانا و ازدهار، وكذا توسيع نطاق تجارته .

كانت من أهم أهداف إسماعيل باشا أن يتوسع للإستيلاء وضم الأراضي التي يتلاعب فيها تجار الرقيق حتى يتم القضاء على تلك التجارة ولتنفيذ هذه السياسة عهد إلى الحكمدار جعفر مظهر بأن يضم إلى حكمدارية السودان جهات بحر الغزال وأن يعين عليها محمد الهلالي وعلى مشايخ قبائل هذه المنطقة إطاعة أوامره[٩٣] وحتى يتم ذلك كان على الحكمدار أن يقوم بتسليح الجنود ليتمكن الهلالي من السيطرة على القسم الجديد، وقد طلب الخديوي إسماعيل أن يتم ذلك بدون خسائر في جنوده، ونبه على الحكمدار أن يكون يقظا وحمله مسؤولية ما سيحدث حال تقصيره في النواحي الدفاعية، وذلك خوفا من تصدي سلطان دارفور لتلك الحملات العسكرية[٩٤].. وقد ذكر الحكمدار للخديوي أن هذه الأرض " حفرة النحاس" وبحر الغزال لاتدخل ضمن حدود دارفور، و أنه في حالة ادعاء سلطان دارفور بحقوق له فيها، فإنهم سيجبونه بما يقنعه[٩٥]

---

(٩٣) ـ دار الوثائق القومية: دفتر رقم ٥٧٣ صادر المعية السنية، صحيفة رقم ١٦٨ مكاتبة رقم ٤ بتاريخ ٢٨ من ذي الحجة ١٢٨٥هـ من الجناب العالي إلى حكمدار السودان.

(٩٤) ـ الوثيقة السابقة: دفتر ٥٧٣ صادر المعية سنية.

(٩٥) ـ محفظة٥٤ معية تركي وثيقة رقم ٢٢٦ تاريخ ١٠ ربيع أول ١٢٨٦هـ، من جعفر مظه حكمدار السودان إلى الخديوي إسماعيل.

وعندما علم السلطان محمد حسين بأن الاستعدادات تجري لفتح حفرة النحاس، والأقاليم المجاورة اتصل بالحكمدار شارحا له ما وصل إليه من أخبار وليحيطه علما بحقيقة الهلالي ليأخذ حذره منه، فذكر أن الهلالي من بلاد الغرب وحين جاء كان معدما، فأنعم عليه حاكورة " قطعة أرض" لتعيينه على متطلبات حياته(٩٦) وعن حفرة النحاس ذكر أنها تابعة لسلطنته منذ عهد أجداده وأنها لازالت تحت سيطرتهم(٩٧) وأن تحت يده من الوثائق ما يثبت صحة ذلك،كذلك أوضح السلطان أنه لا يمكن أن يحتج أو يقف ضد رغبة الحكومة المصرية إذا وضعت يدها على المناطق الخارجية عن نفوذ سلطنة دارفور(٩٨)

اهتم الحكمدار برسالة السلطان وحقق مع الهلالي عما جاء في حقه، وطلب منه أن يوضح حقيقة الأمر عن حفرة النحاس على أساس أن الهلالي كان موجودا لفترة ما في حفرة النحاس، وهل هي من توابع سلطنة دارفور، وهل كان هناك من يتوجه من دارفور من المسؤولين والعساكر ليحصل الأموال(٩٩)

رد الهلالي على أسئلة الحكمدار ودافع عن نفسه موضحا أصله ونسبه، وأنه في طريقه إلى الحج، ذهب إلى السلطان محمد حسين والذي حسن له البقاء في الفاشر ثم استعان به في السيطرة على بعض جهات بحر الغزال، فكان يذهب سنويا لتلك الجهات لتحصيل الأموال، واستمر هذا الحال لأكثر من عشرين عاما كان يقدم خلالها الغنائم إلى السلطان بقوة رجاله وعلى نفقته الخاصة(١٠٠) وعندما علم أن السلطان يريد التخلص منه، بهدف الاستيلاء على جهات بحر الغزال والتي سارت أشبه بحكومة الهلالي المستقلة، هرب حتى وصل كردفان للإحتماء بالخديوية، أما عن حفرة النحاس فقد أوضح أن حدود دارفور بعيدة عن هذه المنطقة، ولم يكن لدرافور أي صلة بها، وأنه هو الذي كان مسؤولا عنها وأن دارفور لم

(٩٦) _ محفظة رقم ٤٥ معية تركي وثيقة رقم ٢٢٦ مرفق بتاريخ ١٥ محرم سنة ١٢٨٦م، من محمد حسين إلى جعفر مظهر.

(٩٧) _ نفس الوثيقة السابقة.

(٩٨) _ نفس الوثيقة السابقة.

(٩٩) _ دار الوثائق القومية: سجلات حكمدارية السودان، محفظة رقم ٤٥، وثيقة رقم ٢٢٦ مرفق تاريخ غرة ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ، من حكمدار السودان إلى الشيخ محمد الهلالي

(١٠٠) _ دار الوثائق القومية: سجلات حكمدارية السودان ،محفظة رقم ٤٥، وثيقة ٢٢٦ تاريخ ٢ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ من الحاج محمد الهلالي ناظر ومتعهد قسم بحر الغزال إلى الحكمدار .

تسيطر على جهات بحر الغزال وديارها وجبالها وعربانها مثل عربان الرزيقات، والهبانية، والتعايشية، وأن أراضيهم خارجة ومستقلة عن دارفور ولهم حكومات مستقلة، ولا يعترفون بحكومة دارفور(١٠١)

ونلاحظ أن الهلالي حاول إبعاد أي صلة لدارفور بهذه المنطقة وإن كان ناقض نفسه عندما قال إنه كان يحكم هذه المنطقة بالنيابة عن سلطان دارفور لأكثر من عشرين عاما، ويذهب سنويا إليها لتحصيل الأموال بالإضافة إلى ذلك نفى الهلالي تبعية الرزيقات والهبانية و التعياشية لدرافور مع أنهم أشهر القبائل في جنوب دارفور.

وكانت تدفع الأموال إلى السلطان، لذلك يتضح أن من مصلحة الهلالي أن تكون هذه المنطقة تابعة لمصر لأنها سيتولى إداراتها، قرر الحكمدار اتخاذ الخطوات اللازمة لضم بحر الغزال وحاول إقناع السلطان بأن للحكومة الخديوية حقوقا عليها حتى لا يكون في نظر السلطان معتديا، لذلك خاطب سلطان دارفور موضحا له أن هذه المنطقة تابعة للخديوي وأنه ليس لدارفور الحق في المطالبة حفرة النحاس، وما يتبعها. كذلك حاول الحكمدار أن يطمئن السلطان بأن حقوقه في هذه الجهات ستكون محل رعاية الحكومة الخديوية، ولا داعي للقلق من مجيء العساكر إلى هذه المناطق لأن ذلك تأمين للطرق، وخدمة للقوافل التجارية(١٠٢).

بعد ذلك أرسل الحكمدار إلى الخديوي يوضح له ما دار بينه وبين السلطان، وكذلك إجابات الهلالي على الأسئلة التي وجهها إليه(١٠٣) ويتضح من أسلوب رسائل الحكمدار إلى الخديوي ولسلطان دارفور انه مصر على فتح بحر الغزال، بما فيها جهات حفرة النحاس، وأنه كان حريصا أن يتم ذلك بهدوء ودون استفزاز حفاظا على ما بين دارفور والخديوي من صداقة، وهكذا استمرت العلاقات الحسنة على عهد السلطان محمد حسين، وبعد وفاته ورث ابنه السلطان إبراهيم من ١٨٧٤_١٨٧٥م) أواصر الصداقة من أبيه، ورغب أن يداوم عليها،

---

(١٠١) _ **نفس الوثيقة السابقة.**

(١٠٢) _ **دار الوثائق القومية: سجلات حكمدارية السودان، محفظة رقم ٤٥ وثيقة رقم ٢٢٦، تاريخ ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٦ من الحكمدار لسلطان دارفور.**

(١٠٣) _ **دار الوثائق محفظة ٤٥ معية تركي، وثيقة رقم ٢٢٦، تاريخ ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٦٨هـ من الحكمدار إلى الخديوي إسماعيل.**

فأرسل إلى الخديوي إسماعيل يخبره بوفاة والده، وتوليه مقاليد السلطة في دارفور وبأنه ماض على طريق والده في السلطة على المودة وحسن العلاقات[١٠٤]

ومرت الأعوام وصدق ما قاله سلطان دارفور من مؤامرة ضد سلطنته حين حدث الاعتداء والاستيلاء عليها على يد الزبير رحمة العباسي باشا*، مدير بحر الغزال الذي كان هدفه في أول الأمر تأديب قبيلة الرزيقات[١٠٥]

كان الخديوي إسماعيل قد أصدر قرارا بتعيين الزبير باشا حاكما على إقليم بحر الغزال، ولكن يبرهن الزبير ولاءه للخديوي ذهب إلى الخرطوم وقابل الحكمدار إسماعيل ايوب، وبحث معه الوسائل التي تكفل توطيد نفوذ وسلطان الحكومة في هذا الإقليم، وبما أن عرب الرزيقات كانوا يغيرون على حدود الإقليم ويقطعوا الطريق بين بحر الغزال ودارفور، فرأى الزبير أن يقوم أولا بتأديب أوولئك العربان، ونشب بين الفريقين معركة؛ انتصر فيها الزبير ولكن اثنين من مشايخ الرزيقات هربا إلى دارفور، وطلبا من السلطان إبراهيم حمايتهما من الزبير وجنوده، وعاهداه على الخضوع والطاعة.

حاول الزبير إقناع السلطان إبراهيم بعدم الاهتمام بأمر هذين الشيخين للحفاظ على حسن العلاقات والمودة التي ربطت بينه وبين الحكومة المصرية، وظل الزبير يراسل السلطان ولكن السلطان لم يووافق على تسليمهما[١٠٦] واستعد الطرفان للحرب،وكان في اعتقاد السلطان إبراهيم في أول الأمر أن الزبير لا يجد تأييدا من الخديوي، لما بين القطرين من علاقات

---

(١٠٤) _ ملف رقم ١سودان، وثيقة رقم ٧ تاريخ ٤ رجب ١٢٩١ه، من السلطان إبراهيم إلى الخديوي إسماعيل.

*** _ الزبير رحمة من أشهر تجار العاج والرقيق في إقليم بحر الغزال ، وكان له مشرع خاص به يسمى مشرع الرق وأحيانا ذريبة أو ديم وهو عبارة عن مكان محصن، على شكل مربع مبني من عروق الخشب يقيم فيه التاجر أو وكيله ومعه حراس مسلحون ويضم أفراد من العبيد لمصاحبة أسيادهم في الغارات والبحث عن العاج والرقيق، وقد اكتسب الزبير شهرة من خلال عصابته المسلحة، وبسط سيطرته على جميع أجزاء بحر الغزال حتى استشعرت الحكومة خطره خاصة بعد هزيمته لمحمد الهلالي عام ١٨٦٩م فأسندت إليه قيادة الحملة إلى دارفور، انظر سعد الدين الزبير: الزبير باشا رجل السودان، ط١، القاهرة١٩٥٢، ص٦٥،١٩،١٨**

(١٠٥) _ مكي شبيكة: السودان عبر القرون، ص١٨٥

(١٠٦) _ مكي شبيكة: المرجع السابق، ص٨٦، ٨٧

حسنة، ولكن عندما تأكد له ذلك شكاهما لدى حكومة الآستانة، و أرسل سفارة لهذا الغرض(١٠٧)

انهزم سلطان دارفور وقُتل في معركة مناوشي في ١٤ رمضان ١٢٩١هـ وكان آخر سلاطين دارفور، ولم يتعد حكمه القصير سنة وسبعة أشهر، انتهى بعدها عصر سلاطين دارفور وأصبحت هذه البلاد جزء من الأقاليم السودانية الخاضعة لمصر من سنة ١٨٧٥م وهي السنة التي دخل فيها الزبير دارفور حتى سنة ١٨٨٣م وهي السنة التي امتد فيها نفوذ المهدية إلى دارفور. أبدى الخديوي إسماعيل ارتياحه الشديد لفتح دارفور و هنئ الزبير و الحكمدار إسماعيل وقام بترقيتهما وشكرهما على ما بذلوه من جهود في إدخال دارفور تحت الطاعة(١٠٨).

وقد بدا الخديوي مهتما بأمر تنظيم وإدارة هذه البلاد، وأبدى استعداده لإرسال ما يلزم دارفور من الكوادر الإدارية المختلفة غير أنه وجد أن تعيين بعض الحكام والمأمورين محليا من بين أعيان تلك الجهات حتى يحمل الإدارة أعباء مالية، و أيضا لجذب قلوب الأهالي نحو الحكومة على اعتبار أنهم يشاركون في إدارة بلادهم وكان على الحكمدار أن يتخير من هؤلاء المخلصين والقادرين على تحمل المسؤولية(١٠٩)

كذلك أمر الخديوي بمراعاة أمور السكان حتى يهتموا بأمور معاشهم من زراعة وتجارة(١١٠)

كذلك رأى الخديوي أن يتم الاستعانة بعساكر من أهالي تلك الجهات لحفظ الأمن والنظام، ويرجع ذلك إلى أن إقليم دارفور واسع وأيضا عدم ملائمة الجو لمن يأتون من مصر، وتخفيفا للنفقات والتكاليف الباهظة التي سيقع عبأها على الحكومة(١١١)

---

(١٠٧) نفسه: ص١٩١

(١٠٨) دفتر رقم ٢١ عابدين، صادر تلغرافات، التلغراف العربي رقم ١٤٣ تاريخ ٢٩ شوال ١٢٩١هـ ، إرادة سنية إلى حكمدار السودان بالفاشر.

(١٠٩) دفتر ٢١ عابدين، صادر تلغرافات، التلغراف العربي رقم ١٥١ تاريخ ٣٠ شوال ١٢٩١هـ، ارادة سنية إلى حكمدار السودان.

(١١٠) نعوم شقير: المرجع السابق، ج٣، ص٩٣

(١١١) دفتر رقم ١ عابدين، صادر تلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ٢٩٣، ص٣٤، تاريخ ١٥ من ذي القعدة ١٢٩١هـ من جناب ولي النعم إلى حكمدار السودان.

كان تنظيم دارفور يستلزم بقاء الحكمدار بالفاشر وقد أمره الخديوي بالبقاء حتى يتأكد أن النظام والأمن استتب في ربوعها.

ـ (علاقة سلاطين دارفور بالحكم المصري)

لم يخل الحكم المصري في دارفور من محاولات من جانب بعض أمراء الفور لإسترداد ملكهم، فقد واجه الحكم المصري مواجهة عنيفة من أهل دارفور وكان على رأسها الورثة الشرعيين للسلطنة الذين كانوا يعتقدون أن الحكم يجب أن يكون في بيت سلاطين دارفور، هذا بجانب رغبتهم في الثأر من قتلة السلطان، ولم تقتصر المقاومة على أبناء السلاطين، بل انضم إليهم كثير من كبار رجال الدولة الذين تأثروا بزوال السلطنة، وأصبح الوضع غير آمن في دارفور حتى أن الطرق المتجهة إليها كانت مغلقة.

استاء الخديوي إسماعيل من استمرار العصيان والمقاومة الذي تسببت فيه البقية الباقية من أسرة سلطان دارفور لذلك أصدر توجيهاته إلى الحكمدار بأن يعامل من يصر من هؤلاء على مقاومة الحكومة بمثل ما يعامل به العصاة وفق القوانين العسكرية[١١٢].

ـــ (مقاومة السلطان حسب الله)

بعد وفاة السلطان إبراهيم وقع اختيار أهالي وأمراء دارفور على عمه الأمير حسب الله، وولوه سلطانا عليهم، عقد السلطان حسب الله مجلسا مع الأمراء والقواد واستقر رأيهم على أن يتحصنوا بجبل مرة، والذي يبعد عن الفاشر بمسافة يومين وهو مكان واسع وحصين، ومن يتحصن فيه فلا تضطره الحاجة إلى مغادرته مهما طالت مدة الحصار[١١٣] ولأن الطريق إلى الجبل ضيق ومحصور بين جبلين تمتد إلى مسافة تقرب من ثلاثة كيلومترات[١١٤] ارسل الحكمدار فرقة لتعقب السلطان حسب الله ومن معه لإرغامهم على الخضوع، وتولى قيادة هذه الفرقة الزبير باشا، واتجه الزبير بجيشه وحاصر السلطان و أتباعه داخل الجبل، واستمر ذلك لمدة تزيد عن شهرين، وقد عانى الزبير الكثير من حصاره لذلك قرر أن يبدأ معهم المفاوضات، والتي انتهت باتفاق بين الطرفين، بموجبه يكون السلطان حسب الله

---

(١١٢) ـ محفظة رقم ٢٣ ، صادر التلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ٣٢٨، تاريخ ١٥ جماد الآخر ١٢٩٢هـ ، إرادة سنية إلى حكمدار السودان بالفاشر.

(١١٣) ـ محمود طلعت: المرجع السابق، ص٤٥،٤٣

(١١٤) ـ نفس المرجع السابق، ص٥٨،٥٩

حاكما على سلطنة دارفور تحت نفوذ الحكومة المصرية مقابل أن يدفع مبلغ مائة ألف جنيه سنويا[١١٥] ونتيجة لذلك نزل السلطان حسب الله ومن معه* من الجبل اعتقادا منه أن الزبير سيضمن له رغبته[١١٦] وعندما عرض الزبير على الحكمدارايوب رفض هذا الرأي، فوقع بسببه جدال طويل بينهما أدى إلى النزاع[١١٧]، فذهب الزبير إلى السلطان حسب الله و أخبره بموقف الحكمدار، ولذلك خيّره بين التسليم إلى الحكمدار وبين عودته لمقره السابق والدفاع عن نفسه، وبذلك يكون في حل من العهد الذي قطعه له[١١٨] لقد كانت وجهة نظر الزبير منحصرة في أن إعطاء دارفور إلى السلطان حسب الله يوفر على الحكومة الكثير من الأموال التي سوف تصرفها على دارفور بالإضافة إلى ما ستحصل عليه من السلطان سنويا إلى جانب أن هذه السياسة ستكمن الحكومة مستقبلا من بسط نفوذها على معظم أفريقيا[١١٩] فضل السلطان حسب الله مقابلة الحكمدار لأن كما قال صار رجلا طاعنا في السن، ولا يريد أن يكون سببا في إرهاق دماء المسلمين، وعندما دخل على الحكمدار جرده من سلاحه واستقبله الحكمدار بالاحترام، وأعدت الرواحل تمهيدا لإرساله و أتباعه إلى مصر وربط لكل منهم معاش شهري، وفي القاهرة تم إسكانهم في مباني حكومية بالقرب من القلعة في الحي المعروف بسوق السلاح[١٢٠]

ـ (ثورة بوش ابن السلطان محمد الفضل)

بعد هذا الإطمئنان، فوجئ الحكمدار بأن أهالي دارفور عادوا للعصيان في جبل مرة، فقد أعلن بوش ابن السلطان محمد الفضل ثورته، وكانت دليلا آخر على التمسك بنظام السلطنة، ورفضا للنظام الجديد، فقد شعر هؤلاء أن حسب الله قد خُدع، لذلك كان أحق من يتولى المقاومة بعده هو أخيه يوش، وقد تبعه كافة جيوش الفور، وكان هدفه الهجوم على

---

(١١٥) ـ نفسه.

* كان معه أولاد السلطان إبراهيم وغيرهم من أولاد السلاطين ونحوألف ومائتي رجل من أعيان دارفور ، انظر نعوم شقير تاريخ السودان وجغرافيته، ج٣، ص٨١

(١١٦) ـ المرجع السابق، ص٦٠

(١١٧) ـ نعوم شقيير: المرجع السابق، ص٨٢

(١١٨) ـ محمود طلعت: المرجع السابق، ص٦٠

(١١٩) ـ محمود طلعت: المرجع السابق، ص٦٠،٦١

(١٢٠) ـ نعوم شقير: المرجع السابق، ٣، ص١٣٥

الفاشر، وقطع الطريق الواصل إلى غرب دارفور مما أدى إلى انقطاع هذه المنطقة عن باقي جهات دارفور[١٢١]

لذلك تجمع ومن معه عند كبكابيه وامر الحكمدار بتوجيه الجنود بقيادة الزبير إلى كبكابيه لضربهم وتشتيت شملهم، وعندما وصل الزبير إلى كبكابيه، أنذر بوش ومن معه و دعاهم للدخول في طاعة الحكومة، ولكنهم رفضوا فدارت معركة بينهم، انتهت بقتل بوش وأخيه سيف الدين وأولادهم، وأسر أبو البشر ابن السلطان حسين.

أيضا ألقى القبض على ثمانية أشخاص من أسرة سلطان دارفور، وثلاثة عشر من أبناء السلطان إبراهيم، وأحد أبناء السلطان حسب الله ويدعي الطاهر، ويبلغ من العمر أربعين عاما لما قام به من أعمال ضد الحكومة[١٢٢] وقد ارسل الزبير باشا إلى الخديوي يوضح له أنه قام بهزيمة العصاة في كبكابية خلال سبعة وعشرين يوما ثم سلم المديرية لمديرها الجديد محمد بك سعيد الذي بعث به الحكمدار أيوب[١٢٣]

وعندما علم الخديوي بأخبار الانتصار على بوش أرسل مهنئا الحكمدار والزبير لما أبدياه من همة في إخضاع مناطق دارفور على الطاعة و تمكنها من نشر الأمن[١٢٤]. وقد استطاع أحد الأمراء وهو علي دينار أن يظفر بحكم دارفور بعد استرداد السودان من المهدية سنة ١٨٩٦م بشرط دفع الضرائب المقررة لحكومة السودان، ولُقب بلقب سلطان، وظل على حكم دارفور حتى عام ١٩١٦م وفي هذا العام جردت حكومة السودان حملة أنهت حكم سلالة سلاطين دارفور، وأسست مديرية دارفور أحد مديريات السودان الحديث.

_ الإدارة والتنمية في دارفور في فترة إسماعيل باشا:

---

(١٢١) _ دفتر ٣٢ عابدين، وارد تلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ٢٦ تاريخ ٢٢ جماد الآخر ١٢٩٢هـ، من حكمدار السودان بالفاشر إلى خيري باشا.

(١٢٢) _ دفتر رقم ٣٣ عابدين، وارد تلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ٥٩٤، ص٩٢، تاريخ ١٨ رمضان ١٢٩٢هـ، من حكمدار السودان بالفاشر إلى خيري باشا.

(١٢٣) _ دفتر رقم ٣٢ عابدين، وارد التلغرافات، التلغراف العربي، رقم٤٢٨ تاريخ ٢١ رجب ١٢٩٢هـ، من الزبير باشا أمير الجيوش الخديوية إلى الأعشاب الكريمة.

(١٢٤) _ دفتر رقم ٢٣ عابدين، صادر التلغرافات، التلغراف العربي، رقم ٥٣٦ تاريخ ١٨ رجب ١٢٩٢هـ، إرادة سنية إلى حكمدار السودان بالفاشر.

_ دفتر رقم ٢٣ عابدين، صادر تلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ٥٣٦ تاريخ ١٨ رجب ١٢٩٢هـ، إرادة سنية إلى الزبير باشا بدارفور.

كان تنظيم دارفور يستلزم بقاء الحكمدار بالفاشر، وقد أمره الخديوي بالبقاء حتى يتأكد أن النظام والأمن قد استتبا في أنحاء المنطقة. نظم الحكمدار الإدارة في دارفور على النظام الإداري الموضوع لحكمدارية السودان، غير أن الاختلاف الوحيد هو عدم جعل دارفور مديرية واحدة أسوة بمديريات حكمدارية السودان، وذلك لإتساع مساحة دارفور؛ فقد قسمت إلى أربعة أقسام إدارية كل قسم منها يماثل مديرية من مديريات السودان، وقد ألحقت بحكمدارية السودان[١٢٥] ويرأس الجميع مدير عام يلقب بلقب مدير عموم دارفور من كبار الضباط العسكريين ويكون مقره الفاشر عاصمة دارفور، ويكون المديرون مسؤولين أمامه[١٢٦].

كما أن هناك وظيفة معاون عموم دارفور، وقد تردد الحكمدار كثيرا حول من يعينه مديرا لعموم دارفور، ولم يحسم الحكمدار هذا الأمر للخديوي، مع إن الحكمدار قد عين الزبير بلقب مأمور إدارة أشغال دارفور إلا أنه كان مترددا، فقد كان يخشى من غضب الزبير نتيجة حرمانه مما كان يأمل فيه من السلطة، وبالتالي ينسحب من المهمة التي أوكلت إليه لإقرار الأمن في دارفور، فيهتز مركز الحكومة خاصة وأن الأهالى أبدوا ميلهم للخروج على النظام، وبذلك تطلب الأمر وجود الزبير بقوته العسكرية التي كانت تربو عن ستة آلاف جندي مزودين بالأسلحة النارية وغالبيتهم من خاصة عبيده[١٢٧].

كان الخديوي يريد أن يطمئن على هدوء الأحوال وتنظيم الإدارة في دارفور لذلك لم يمانع من تعيين من يوافق عليه الحكمدار ، وإن كان الخديوي قرر من قبل تعيين الزبير مديرا عاما على دارفور بعد فتحها، واشترط عليه أن يترك ممارسة التجارة حيث أنها لا تليق مع كبار المسؤولين في الدولة، وألا يكون لديه عساكر خاصة وأن يحول أتباعه ليكونوا جنودا للحكومة[١٢٨]. وعلى هذا فقط ربط الخديوي أمر تعيين الزبير رسميا بموافقته على هذه الشروط، وطلب من الحكمدار أن يبلغه إذا وافق الزبير على شروطه، ولم يمانع الزبير فيما طُلب منه إيمانا منه أنه أحد رعايا الدولة الخديوية كما وعد بمنع تجارة الرقيق تنفيذا لرغبة

---

(١٢٥) _ نعوم شقير: المرجع السابق، ج٣، ص٨٠

(١٢٦) _ دار الوثائق القومية المصرية: دفتر رقم ٢٩ عابدين، وارد تلغرافات، التلغراف العربي رقم ٢٢٧، تاريخ ٢١ من ذي القعدة ١٢٩١هـ، من حكمدار السودان بالفاشر إلى المعية السنية.

(١٢٧) _ مكي شبيكة: السودان عبر القرون المرجع السابق، ص١٣٢

(١٢٨) _ دار الوثائق: دفتر رقم ٢١ عابدين، صادر تلغرافات، التلغراف التركي، شفرة رقم ٦٩١ بتاريخ ١٩ محرم ١٢٩٢ أمر كريم إلى حكمدار السودان بالفاشر.

الحكومة[١٢٩] غير أن الحكمدار غيّر رأيه في الزبير، وأووضح أنه لا يفقه في الإدارة القائمة على قوانين نظام الحكومة كذلك خشى الحكمدار من أن يستقل الزبير بما تحت يديه من البلاد، وبذلك نزع الحكمدار إدارة عموم دارفور من الزبير، وقد أرسل الزبير للخديوي يتظلم من إبعاد الحكمدار له من إدارة دارفور[١٣٠]. وهكذا نزع الحكمدار إدارة عموم دارفور من الزبير بل أمره بإخلاء المديرية، والانسحاب كما أمره الخديوي بتنفيذ أوامر الحكمدار وتسليم المديرية لحسن حلمي، والذي عُين مديرا على عموم دارفور[١٣١].

وفي عام ١٨٧٧ م عين الخديوي إسماعيل غردون باشا حكمدار لعموم الأقاليم السودانية،وعندما قام بزيارة دارفور، وتفقد أحوالها قرر إجراء تغيير جديد في إدارتها فقسمها إلى قسمين كبيرين؛ قسم شرقي وقسم غربي[١٣٢]واتضح لدى غوردن أن دارفور تحتاج من القوة العسكرية والمال اللازمين لاستتاب الأمن والقضاء على الثورات التي شغلت الحكومة، وهذا يكلف الحكومة حوالي مائة وخمسين ألف جنيه في العام في حين أن إيرادات لم تتعدى الخمسين ألف جنيه، وعلى هذا اقترح على المسؤولين بتسليم دارفور إلى أحد أبناء السلطان إبراهيم تحت مراقبة الحكومة، وذلك مقابل أن يدفع للحكومة ما بين عشرين إلى ثلاثين ألف جنيه في العام[١٣٣]

وقد وقع اختياره على عبد الرحمن ابن السلطان إبراهيم ليتسلم السلطة في دارفور بعد أن يؤدي القسم بألا يخون الحكومة[١٣٤] ولم توافق الحكومة على اقتراح غوردون والذي لا يعينه إلا الحصول على الفائدة المادية هذا بالإضافة إلى أنه كان يريد أن تتخلى الحكومة عن بحر الغزال بحجة أنها لا تعود بالفائدة المادية على الحكومة[١٣٥] بينما كان أهم هدف للخديوي إسماعيل نشر الحضارة والمدنية وعمارة البلاد والعمل على راحة سكانها، وقد أوضح غوردن أن مهمته محاربة تجارة الرقيق وأن ذلك لن يتم إلا عن طريق الإداريين

---

(١٢٩) _ مكي شبيكة: المرجع السابق، ص١٣٣

(١٣٠) _ دار الوثائق القومية المصرية: دفتر رقم ٣٢ عابدين، وارد التلغرافات، التلغراف العربي، شفرة رقم ٤٢٨ تاريخ ٢١ من رجب ١٢٩٢هـ، من الزبير باشا إلى الأعتاب الكريمة.

(١٣١) _ مكي شبيكة: السودان في قرن، المرجع السابق، ص٩٣

(١٣٢) _ محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٢٠٥

(١٣٣) _ دار الوثائق: دفتر رقم ٥٠ عابدين،وارد التلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ١٤٥ بتاريخ ٢٦ من جماد ثاني سنة ١٢٩٥هـ، من غوردن بالخرطوم إلى خيري باشا.

(١٣٤) _ محمد صبري: الإمبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٤٨م، ص٧٣

(١٣٥) _ دار الوثائق: دفتر رقم ٥٠ عابدين، وارد تلغرافات، التلغراف العربي، الشفرة رقم ٣٣٩، ص٥٥ تاريخ ١٥ اغسطس سنة ١٨٧٨م، من غوردون إلى خيري باشا.

الأوربيين لأن الإداريين من أبناء العرب لا يستطعون ذلك، وقد وُصف غوردون بأنه استعماري نتيجة لأعماله في دارفور وغيرها من مناطق السودان(١٣٦). وبعد أن غادر إسماعيل باشا الحكم في أواخر يونيو عام ١٨٧٩م وتولى محمد توفيق باشا أعفي غوردون باشا من الخدمة وخلفه محمد رؤوف باشا(١٣٧).

_ مشروعات التنمية في دارفور

كان من أهم أهداف فتح دارفور كما أعلن الخديوي إسماعيل باشا هو انتشالها من التخلف ووضعها في مسار التقدم والحضارة، وكان هذا اهتمام ولاة مصر منذ عهد محمد علي باشا وربطها بأقاليم السودان والبحث عن مصادر الثروة فيها(١٣٨). وقد بُذلت مجهودات كثيرة لتطوير دارفور وإصلاحها في كثير من المجالات، فعينت فرقة كشفية برئاسة ضباط الجيش لاستكشاف أراضي دارفور وإعمال الخرائط اللازمة لجهاتها والقيام بأبحاث علمية لمعرفة طبيعة إقليم دارفور، وأنواع النباتات والأعشاب الموجودة فيه، كذلك معرفة الآبار والسواقي، وقد تم إرسال الآلات والمهندسين من مصر والخبراء لاستكشاف الجبال الموجودة والبحث عن المعادن كالنحاس والرصاص والحديد إلى جانب وجود النطرون بكثرة، وكان الخديوي _ إسماعيل يشرف بنفسه على كل ذلك، ويصدر الأوامر لما يجب القيام به.

ومن الخرائط الكشفية التي تم وضعها؛ خريطة للطريق بين دنقلة والفاشر، وأخرى للطريق بين الأبيض والفاشر، وقد تم بالفعل رسم خريطة مستوفية لمناطق دارفور، كما اهتم المسؤولون أيضا بسرعة وصول أخبار دارفور لذلك كان الاهتمام حول تذليل الصعاب حتى يتم توصيل التلغراف إلى دارفور، وبعد إتمام خط تلغراف كردفان كان من المقرر أن يبدأ العمل في مده إلى أن يصل إلى الفاشر حسب رغبة الخديوي، وقد استمر العمل حتى تم توصيل الخط إلى دارفور" نقطة الفوجة" في عام١٨٧٥م وربما يرجع عدم وصول الخط إلى الفاشر إلى اضطراب الأمن وعدم استقرار الأحوال بسبب الثورات المحلية والتي استمرت منذ فتحها وحتى سقوطها في يد الثورة المهدية(١٣٩).

أيضا اهتمت الحكومة بتطوير الصناعة، فطلب المسؤولون أن ترسل دارفور صانع من كل مهنة لتدريبهم في مصر، وإعادتهم إلى دارفور، كما تم أخذ عينات من الجلود ومصنوعاتها

---

(١٣٦) _ **محمود طلعت: المرجع السابق، ص٨٨، ٩٠**

(١٣٧) _ **محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص٢٨٧**

(١٣٨) _ **مكي شبيكة: المرجع السابق، ص٦٥**

(١٣٩) _ **محمد فؤاد شكري: الحكم المصري في السودان، ص١٤٩**

والأنوال المستخدمة في نسيج الأقمشة وذلك لأجل إدخال التحسينات والتطور في الصناعة، وقد تم إقامة مدبغة للجلود في دارفور لتحسين الصناعات الجلدية[١٤٠]

أما من ناحية الزراعة والتجارة فلقد تأثرتا بأحوال دارفور الأمنية، فتأثرت الزراعة نتيجة الحروب المستمرة، وبدأت بوادر المجاعة بها عندما ارتفع سعر الأردب من الذرة وهو الغذاء الرئيسي لكثير من سكان دارفور إلى أربعين ريالا، وكان السعر من قبل خمس ريالات[١٤١]. وقد حاولت الحكومة المصرية زراعة القطن في دارفور ولكن الاضطرابات حالت دون ذلك الأمر.

أما التجارة وهي أهم أهداف الحكومة المصرية في فتح دارفور حازت على اهتمام كبير من المسؤولين للحصول على بعض السلع الهامة لتصديرها لمصر وعلى رأسها سن الفيل لأن سعره كان مرتفعا في مصر[١٤٢] ولكن عدم استقرار الأوضاع في دارفور ألقى بظلاله على التجارة، فكانت الطرق التجارية تغلق في وجه المسافرين ، وفي داخل دارفور تأثرت التجارة بسبب ندرة النقود، فلم تكن النقود توجد إلا في أيدي عرب الشمال " الجمالة" وهم الذين يسافرون بطريق الأربعين، ولذلك كان يتم التعامل مع الناس، كما كان في السابق بالمقايضة[١٤٣] ويتم الدفع بالتكاية وهو نوع من القماش المصنع محليا أو قطع من القماش المستورد من أوربا مقطع إلى أجزاء ومع تدهور الأحوال في دارفور وازدياد الحاجة إلى تنظيمها و احتياج الحكمدار لدفع مرتبات الجند والموظفين، قرر الحكمدارايوب فرض الضرائب على الأهالي، ففرض على كل شخص مبلغ ريالين قشلي[١٤٤] أو ما يساويها من الغلال سدس أردب ذرة في العام، أو من العسل والجمال والبقر والغنم والأقمشة المحلية[١٤٥] وقد اعترض الزبير على ذلك لعدم مقدرة الأهالي على الدفع وطلب من الحكمدار أن تكون الضريبة متدرجة لتبدأ من قرشين إلى عشرة قروش[١٤٦] وعندما تولى غوردون حكمدارية

---

(١٤٠) _ نعوم شقير: نفس المرجع السابق،ج٢ ص١٢٥

(١٤١) _ محمد فؤاد شكري: الحكم المصري في السودان، ص١٩

(١٤٢) _ التونسي: المرجع السابق، ص٥٥

(١٤٣) _ نفس المرجع السابق، ص٥٨

(١٤٤) _ الريال القلشي: عملة فضية قيمتها عشرين قرشا مصريا كانت تقيم بها السلع

(١٤٥) _ مكي شبيكة: المرجع السابق، ص١٤١

(١٤٦) _ أحمد احمد سيد احمد: تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، المرجع السابق، ص٣٢

السودان قرر أن ينقص الضرائب إلى النصف، ومنع العساكر وأوكل إلى المشايخ جمعها، وذلك للقضاء على الثورات[١٤٧].

أما من ناحية التعليم فقد اهتمت الحكومة المصرية بالتعلم في دارفور فقد كان بالفاشر مدرسة ابتدائية بها ناظر ومدرس واحد وخمسة وسبعون تلميذا لهم إعانات شهرية من الحكومة[١٤٨] وقد سعت الحكومة إلى إنشاء مدرسة ابتدائية أخرى تدرس بها العلوم، كما اهتمت الحكومة بالتعليم الصناعي والزراعي[١٤٩] كما تم إنشاء مدرسة حربية لتخريج الضباط والعساكر[١٥٠]. واهتمت الحكومة بتجنيد العساكر من دارفور، وذلك لسد احتياجات السودان من الجنود اللازمين لمواجهة أي أزمة، وذلك لبعد المسافة ولإتساع دارفور ولعدم توفر الجنود، بالإضافة إلى المصاريف، وقد تزايدت الرغبة لإحلال السودانين مكان الجنود القادمين من مصر[١٥١]

وقد طالب الخديوي من الحكمدار بإرسال عشرة آلاف من الرقيق الموجودين في دارفور وذلك لعلمه بأنه يوجد في دارفور كثير من الرقيق يتراوح عددهم بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف من مملوكي سلاطين دارفور السابقين هذا بجانب ما يملكه أقاربهما، ولذلك طالب بإرسال الصالحين منهم للتجنيد[١٥٢].

وفي الحقيقة فإن الأمور سارت على غير ما يشتهيه المسؤلون في الحكومة المصرية، فلم ينفذ من كل تلك الإصلاحات إلا القليل وذلك لخضوع دارفور تحت السيطرة المهدية، وتوقف التبادل التجاري لإغلاق الطرق التجارية. وقد دخلت قبائل دارفور في صراع مع المهدية فقامت ثورة ابن جميز والتي كادت أن تطيح بسلطان المهدية في دارفور، فانتصر ابن جميز في شمال ووسط دارفور بعد أن أيدته القبائل في تلك الجهات، ولذلك سعت المهدية إلى إقصاء زعماء القبائل و استبدالهم برجال يتبعون المهدية، وعندما تولى أحد أنصار المهدية ، وهو محمود أحمد علي دارفور انتهج سياسة سلمية مع جميع قبائل دارفور[١٥٣]

---

(١٤٧) _ ابراهيم فوزي: المرجع السابق، ص٦٢

(١٤٨) _ دار الوثائق القومية: الوثائق الإفريقية، مجموعة السودان محفظة ١٠٣، ملف ٦ كشف إيرادات ومصروفات مديرية الفاشر سنة ١٨٨١م

(١٤٩) _ نفسه.

(١٥٠) _ نفسه.

(١٥١) _ مكي شبيكة: المرجع السابق، ص١٣٥

(١٥٢) _ أحمد سيد احمد: المرجع السابق، ص٦٣

(١٥٣) _ مكي شبيكة: السودان والثورة المهدية، الخرطوم ١٩٧٨م، ج١، ص٣٣

الخاتمة:

من خلال تلك الدراسة اتضح لنا أن علاقة ولاة مصر بسلاطين دارفور كانت علاقة حسنة تتسم بالود والصداقة والاحترام، وتبادل الهدايا، وقد ساهم الموقع الاستراتيجي لإقليم دارفور في قيام المراكز التجارية وتنشيط العلاقات التجارية بين البدين، فاهتم ولاة مصر بتطوير العلاقات التجارية بين مصر ودارفور وما جوارها من الأقاليم الواقعة إلى الغرب منها وتأمين الطرق للقوافل وعلى رأسها طريق درب الأربعين، خصوصا وأن دارفور كانت مركزا للقوافل التي تربط مصر بوسط وغرب إفريقيا مما أثر في انتعاش حركة الأسواق في مصر وفي دارفور على حد سواء.

وقد تباينت علاقة ولاة مصر بسلاطين دارفور تبعا لسياسة الحاكم، فعندما يحدث ما يعكر صفو هذه العلاقات كانت التجارة تتأثر، واتضح ذلك من علاقة محمد علي باشا بالسلطان محمد الفضل المضطربة نتيجة محاولات محمد علي لفتح دارفور واستغلال مواردها الطبيعية والبشرية، ولكنه لم يحقق ما كان يرجوه. إلى أن جاء عباس الأول والذي سعى إلى تحسين العلاقات بين البلدين، وعلى الرغم من التعديات الكثيرة التي وقعت للقوافل التجارية في عهده إلا أن العلاقات التجارية بين البلدين ظلت مستمرة في عهد محمد سعيد باشا بلغت العلاقات الطيبة بين البلدين أوج ذروتها، وتبادل الهدايا، مما ساعد على زيادة النشاط التجاري. وفي عهد إسماعيل باشا استمرت علاقات الصداقة بين البلدين إلا أن محاولة الاستيلاء على حفرة النحاس واحتجاج سلطان دارفور على ذلك، كان بداية لسوء التفاهم بين الطرفين، والذي انتهى بفتح دارفور على يد الزبير باشا وقتل سلطان درافور، وبعدها سعى إسماعيل باشا لتطوير الإقليم في كثير من المجالات مع إن فترة الحكم المصري للإقليم كانت مليئة بالشغب والثورات مما كان عائقا في تنفيذ كثير من خطط التنمية، وقد استمرت هذه الأوضاع المضطربة في دارفور خلال الحكم المهدي لاحقا والاحتلال البريطاني للسودان إلى أن اعتلى حكم دارفور السلطان علي دينار عام ١٨٩٩م _ ١٩١٨م فانهار سلطنة دارفور وأصبحت إقليم تابع للسودان.

الملاحق

شكل رقم (٢) طرق القوافل التجارية فى القرن التاسع عشر

قائمة المصادر والمراجع

أولا: وثائق غير منشورة.

- دار الوثائق القومية:
- دفاتر وسجلات معية (عربي) دفاتر_ محافظ.
- دفاتر وسجلات المعية (تركي) دفاتر_ محافظ.

وهي وارد الإفادات والتحريرات بين الأقاليم والدواوين.

- ديوان خديوي: عبارة عن أوامر ومراسلات من المسئولين في مصر إلى المسئولين في السودان متعلقة بموضوعات عديدة.
- محافظ عابدين: (محافظ- دفاتر- صادر- وارد)
- محافظ بحر برا: وهي تختص بشؤون الدولة السياسية وسياستها الخارجية.
- سجلات حكمدارية السودان: تضم الأوامر والمراسلات التي يصدرها الحكمداريون إلى حكام الأقاليم، وردود هؤلاء الحكام.
- محافظ الوثائق الإفريقية: مجموعة السودان، محفظة ١٠٣ ملف (٦) السودان وتشمل العلاقات بين مصر والسودان، والدول الإفريقية من الناحية السياسية والاقتصادية.

ثانيا:المراجع العربية

- ابـراهيم فـوزي: السـودان بـين يـدي غـردون وكتشـنر، جـزءان، الجـزء الأول، القـاهرة ١٣١٩ه.
- السعيد البدوي: دارفور(الإطار الجغرافي) من أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور(الأصول والمواقف وسيناريوهات الحل والتدخل)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ٢٠٠٥م.
- السيد يوسف نصر: جهود مصر الكشفية في إفريقيا في القرن التاسع عشر، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب١٩٧٩م.
- أمين سامي:تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٥ه/١٩٣٦م.
- بوركهات، جون لويس: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندروس، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة١٩٥٩ م.
- جلال يحيى: مصر الإفريقية والأطماع الإستعمارية في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م.
- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣م.
- حمدنا الله مصطفى حسن: التطور الاقتصادي والإجتماعي في السودان ١٨٤١-١٨٨١م، الطبعة الأولى، دار المعارف المصرية ١٩٨٥.
- زاهر رياض: السودان المعاصر منذ الفتح الإسلامي حتى الاستقلال ١٨٢١-١٩٥٣م، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م.
- سعد الدين الزبير: الزبير باشا رجل السودان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٢م
- سلاطين باشا: السيف والنار في السودان، تعريب جريدة البلاغ، القاهرة، مطبعة البلاغ ١٩٣٠م.
- سيد حريز: دارفور الصراع السياسي من أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور، معهد الدراسات الإفرقية، جامعة القاهرة ٢٠٠٥م.
- شوقي الجمل: تاريخ سودان وادي النيل (حضارته وعلاقته بمصر منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر)، جزءان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م.
- عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١م.

- عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي، القاهرة ١٩٥٠م.
- محمد إبراهيم أبو سليم: الفور والأرض (وثائق تمليك)، الخرطوم، معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية١٩٧٥م.
- محمد رفعت رمضان: وضع السودان في نطاق العلاقات بين مصر والدولة العثمانية حتى سنة ١٨٦٣م، القاهرة ، دار المعارف المصرية ١٩٥٥م
- محمد صبري: الإمبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر، القاهرة، مطبعة مصر ومكتبتها١٩٤٨م.
- محمد عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (نشره خليل محمود عساكر، مصطفى محمد سعد) القاهرة، الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٥.
- محمد عوض: السودان و وادي النيل سكانه وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١م.
- محمد فؤاد شكري: مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠- ١٨٩٩م، دار المعارف المصرية ١٩٥٧م.
- - -الحكم المصري في السودان ١٨٢٠- ١٨٨٥ ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.
- محمود طلعت: غرائب الزمان في فتح السودان، القاهرة١٣١٤ه.
- مصطفى محمد حوجلي: دارفور البيئة والإنسان من أعمال الحلقة النقاشية حول أزمة دارفور، جامعة القاهرة٢٠٠٥م.
- مصطفى مسعد: سلطنة دارفور وبعض مظاهر حضارتها، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ١١، سنة ١٩٦٣م.
- مكي شبيكة: السودان عبر القرون، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٤م.
_ السودان والثورة المهدية، الخرطوم١٩٧٨م.
_ السودان في قرن (١٨١٨-١٩١٩) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م.
- نسيم مقار: جهود مصر في الكشف الجغرافي البيكباشي سليم قبطان والكشف عن منابع النيل، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٠م.
- نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة، مطبعة المعارف (د.ت)

ثالثا: المراجع الأجنبية

_ Arkill,A.J: *The History of Darfur*. SN.R vol 32, Part1.june1951.

_Browne,W.G*: Travels in Africa*, Egypt,Syria (1792_1799) London 1806

_Lampen,G,D :*History of Darfur* S.N.R, XXX1 Part 11,1948.

_ Trimingham.J.S *: Islam in The Sudan*. London1949.

_Terence Walz: *Trade between Egypt and Bilad As-Soudan*.London1881

رابعا: الرسائل العلمية

- أحمد أحمد سيد أحمد: تارخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري (١٨٢٠-١٨٨٢) رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٦٣م.